جهود العلَّامة طه باقر في التصنيف اللغويّ

د. أحمد عبَّاس أمير
المديريَّة العامَّة لتربية بابل

The Efforts of Scholar Taha Baqir in Linguistic Classification

Dr. Ahmed Abbas Ameer
General Directorate of Education in Babylon

الملخَّص

يعنى هذا البحث بجهود العلَّامة الحِلِّيّ طه باقر في تصنيف اللغات الإنسانيَّة ومعرفة أصولها، وتسهيل معرفتها ودراستها؛ كونها تمثِّل الإرث الحضاريّ الإنسانيّ المهم، الذي يعدُّ إنجازًا اجتماعيًّا كبيرًا في حياة البشريَّة.

لقد صنَّف المرحوم طه باقر اللغات بالنظر إلى أساليبها، فكانت اللغات العازلة، واللغات الملصقة، واللغات المتصرفة، وصنَّفها أيضًا على أساس القرابة والأصل، فكشف عن أسرارها، التي جعلها ثلاثًا، فضلًا عن عرض اللغات الجزريَّة وأقسامها وخصائصها، وعرض اللغة السومريَّة وخصائصها، ودرس أطوار الخطِّ المسماريّ.

الكلمات المفتاحيَّة: طه باقر، التصنيف اللغويّ، اللغات الجزريَّة.

Abstract

This research deals with the efforts of the Hillian scholar Taha Baqir in classifying human languages and knowing their origins, and facilitating their knowledge and study as they represent the important human cultural heritage, which is considered a great social achievement in the life of humanity.

The late Taha Baqir classified languages based on their styles, so they were isolated languages, affixed languages, and inflected languages. He also classified them based on kinship and origin, so he revealed their families, which he made three, in addition to presenting the Semitic languages, their divisions and characteristics, and presenting the Sumerian language and its characteristics, and studying the stages of the cuneiform script.

Keywords: Taha Baqir, Linguistic classification, Semitic languages.

المبحث الأوَّل

تصنيف اللغات

التصنيف الأوَّل: من حيث الأساليب اللغويَّة

إنَّ تعدُّد اللغات البشريَّة وكثرتها كثرة مستفيضة، واختلافها في ما بينها في المفردات والأساليب التركيبيَّة، جعلت الباحثين في علم اللغة المقارن يصنِّفون هذه اللغات، على الرغم من تنوُّعها وكثرتها، إلى أنواع وأنماط من ناحية أساليبها اللغويَّة، وصنَّفوها إلى عشائر وأُسر من ناحية أصولها وقرابتها[1].

ويسمَّى التصنيف الأوَّل بالتصنيف النوعيّ[2]، ويستند إلى القوانين المتعلِّقة بقواعد الصَّرف والتنظيم (المورفولوجيا والسنتكس)[3].

يقول طه باقر: إنَّ هذا التصنيف «يقوم على أساس الطرق المتَّبعة في اللغات، في تركيب المفردات واشتقاقها، وكيفيَّة أداء العلاقات النحويَّة بين تلك المفردات في دخولها في الجمل المختلفة»[4].

(١) الإنسان صانع الكلمة: ١٦.
(٢) فقه العربيَّة المقارن (د. رمزي منير بعلبكي): ٢٣.
(٣) ظ: علم اللغة (د. عليّ عبد الواحد وافي): ١٠٥-١٠٦، دراسات في فقه اللغة (د. صبحي الصالح): ٤٥.
(٤) الإنسان صانع الكلمة: ١٦.

ويُنسب هذا التصنيف إلى العلَّامة شليجل (Schlegel)، إذ نشر في سنة (١٨٠٨م) بحثًا ألحَّ فيه على وجوب دراسة التركيبات الداخليَّة للغات؛ بسبب الضوء الذي يمكن أن تلقيه على علاقاتها الوراثيَّة [١]، ويبدو أنَّ شليجل كان متحمِّسًا لنظريَّة (دارون) في أصل الأنواع، إذ حاول تطبيقًا مباشرًا على الدراسات اللغويَّة، فرأى أنَّ اللغة كائن حي ينبغي أن تطبَّق عليها القوانين العلميَّة التي تطبَّق في علم الأحياء، وهذه النظريَّة التي وضعها شليجل في تصنيف اللغات سمِّيت (النظريَّة البيولوجيَّة الطبيعيَّة في اللغة)، أو (نظريَّة الأنساب في اللغة)[٢]، وفي ضوئها قسَّم اللغات الأنسانيَّة على ثلاثة أقسام:

١. اللغات العازلة (Isolation Languages):

وينماز هذا النوع من اللغات من الناحية التصريفيَّة بأنَّ كلماته غير قابلة للتصريف، لا عن طريق تغيير البنية (الاشتقاق)[٣]، الذي يستند إلى أصوات أصليَّة هي جذر الكلمة، ويزاد عليها أصوات زائدة، صوامت أو حركات قصيرة أو طويلة، وتسمَّى هذه الزيادات اللواصق، فإن تصدَّرت الجذر سمِّيت السوابق (Prefixes)، وإن أُقحِمت فيه، سمِّيت المقحمات أو الإحشاء (Infixes)، وإن وقعت في نهايته، فهي الإعجاز أو اللواحق (Suffixes)[٤]، ولا عن طريق اللزج التركيبيّ الذي يتمُّ إمَّا بدمج كلمَتَين أو أكثر، فتتولَّد كلمة واحدة ذات معنى جديد[٥].

(١) ظ: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب (د.ر. روبنز)، ترجمة: أحمد عوض: ٢٧٧.
(٢) ظ: مقدِّمة لدراسة فقه اللغة (د. حلمي خليل): ١٢٥.
(٣) ظ: علم اللغة: ١٠٧، فقه اللغة العربيَّة: ٥٩.
(٤) ظ: مناهج البحث في اللغة: ٢٢١، دلالة اللواصق التصريفيَّة في اللغة العربيَّة (أشواق محمَّد النجَّار): ٤٩.
(٥) ظ: علم اللغة العام: ١٩٩، اللغة الأكديَّة (د. عامر سلمان): ٣١.

أمَّا من ناحية التنظيم، فتَّتسم بانعدام الروابط بين أجزاء الجملة التي تدلُّ على وظيفة كلِّ جزء منها، وعلاقته بما يجاوره من الأجزاء داخل الجملة، بل ترصف هذه الأجزاء بعضها بجانب بعض، وتستفاد علاقتها ووظائفها من ترتيبها، أو من سياق الكلام[١]، يقول جرجي واصفًا هذا النمط من اللغات: «إنَّ ألفاظها أحاديَّة المقطع، لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف، فاللفظة الواحدة، تكون فعلًا أو اسمًا أو نعتًا، بإضافة ألفاظ أخرى ذات معانٍ مستقلَّة إليها»[٢].

أمَّا طه باقر، فقد أوجز القول في صنف هذه اللغات، ذاكرًا أنَّ «فيه تنعدم ظاهرة التغيير في المفردات للاشتقاق، وتقتصر العلاقات النحويَّة في مفرداته على وضع المفردات وضعًا خاصًّا في الجملة من حيث ترتيبها، بدون[٣] أن يطرأ عليها أي تغيير»[٤].

أمَّا عن تسمياتها، فقد سمِّيت هذه اللغات غير متصرِّفة؛ لأنَّ كلماتها لا تتصرَّف ولا يتغيَّر معناها، وعازلة؛ لأنَّها تعزل أجزاء الجملة بعضها عن بعض، ولا تصرِّح بما يربطها من علاقات[٥]، وخير ما يمثِّل هذه اللغات: اللغة الصينيَّة، ولغات سكَّان أستراليا الأصليِّين، ولغات البانتو في أمريكا الجنوبيَّة، ولغات وسط أفريقيا، ولغات الهنود الحمر في أمريكا الشماليَّة والمكسيك[٦].

(١) ظ: علم اللغة العام: ١٠٨، الفلسفة اللغويَّة والألفاظ العربيَّة (جرجي زيدان): ٢٣-٢٤ (الحاشية).

(٢) الفلسفة اللغويَّة: ٢٣.

(٣) والصواب: من دون.

(٤) الإنسان صانع الكلمة: ١٦

(٥) ظ: علم اللغة: ١٠٨

(٦) ظ: الفلسفة اللغويَّة: ٢٢-٢٣.

٢. اللغات الملصقة (Agglutinative Languages):

وسمِّيت هذه اللغات لصقيَّة (إلصاقيَّة) أو وصليَّة؛ لأنَّ تغيُّر معنى الأصل (الجذر) فيها، وعلاقتها بما عداه من أجزاء الجملة يُشار إليه بمكوِّنات لغويَّة صرفيَّة أو نحويَّة تلتصق به[١]. وتسمَّى هذه المكوِّنات لواصق، وقد تقدَّم ذِكرها في صنف اللغات العازلة.

وقد تحدَّث طه باقر عن هذا النمط من اللغات، فقال: «أبرز ما يتميَّز به هذا النمط من اللغات أنَّها تؤلِّف المفردات اللغويَّة والجمل الكلاميَّة بطريق الدمج أو الإلصاق بين مفردَتَين أو أكثر»[٢]. ومثَّل لها باللغة السومريَّة وباللغة التركيَّة وباللغة الهنغاريَّة (المجريَّة)، ذاكرًا أنَّ كلمة لوكال (Lugal) في السومريَّة تعني الملك، أو الرجل العظيم، مكوَّنة من مفردَتَين، الأولى لو (Lu)، ومعناها (رجل) وكال (gal)، وتعني (عظيم)، وفي اللغة التركيَّة (من بيتي) يعبَّر عنها بـ(أيفم دم) أي (بيت + ضمير الإضافة + من)[٣].

وهذه اللواصق تكون في الأصل كلمات مستقلَّة (مورفيمات حرَّة)، ثمَّ تُدمج بكلمات أخرى، فتتولَّد بذلك كلمة لها دلالة جديدة يسهل تفكيكها، فلفظة (Blackbird) في اللغة الإنكليزيَّة مكوَّنة من (Black) مورفيم حر، ومعناه (أسود)، و(bird) مورفيم حر بمعنى (طائر)، فأصبحت الكلمة الجديدة بعد الأدماج (Blackbird)، وتُطلَق على نوع معيَّن من الطيور، لا على كلِّ طائر أسود، وبذلك تخصَّصت دلالتها[٤]، وقد تكون الكلمة (اللاصقة) مورفيمًا حرًّا، لكن بدمجها

(١) ظ: علم اللغة: ١٠٧، دلالة اللواصق التصريفيَّة في اللغة العربيَّة: ٢٦.
(٢) الإنسان صانع الكلمة: ١٦
(٣) ظ: المصدر نفسه: ١٦
(٤) ظ: دور الكلمة في اللغة: ١٦٠

بمفـردة أخرى تفقـد ذاتيَّتها بالتدريـج، حتَّى تصبح عنـصرًا حرًّا قابلًا للدخـول في أيَّة أمثلـة جديدة، فاللاصقـة (Dom) في الإنكليزيَّة في كلمـة (Wisdom)، تعني حكمة (Chrstendom) ومعناها (المسيحية)، هي من كلمة (dom) المشتقَّة بدورها من الفعل (Todo)[1]. أو قد تكون هذه اللواصق مورفيمات مقيَّدة، فاللاصقة (er) في الإنكليزيَّة تؤدِّي معنى اسـم فاعل، نحو: (Lead – يقود)، و(Leader – قائد)، والسـابقة (un) لأداء المعنى المعاكس، نحو (Known – معروف)، و(unknown – مجهول).

وأكثـر اللغات اسـتحقاقًا لهـذه اللواصق هـي اللغـات الآريَّة، وبعـض اللغات الطورانيَّـة[2]. لكـن هذا لا يعنـي أنَّ اللغات الجزريَّة لا تسـتفيد مـن ظاهرة الإلصاق في بنـاء صيغها، فمن السـوابق في العربيَّة، وهي أحدى اللغـات الجزريَّة، أل التعريف، وحروف المضارعـة (أنيتُ)، ومن اللواحق فيها الضمائر المتَّصلة التي تلحق آخر الفعل المـاضي[3]، وكذلك نون التوكيد بنوعيها المثقلة والمخفَّفـة، اللَّتَين تؤدِّيان وظيفة نحويَّة لا صرفيَّـة، فضلًا عـن المركَّبات، مثل المركَّبـات المزجية، نحـو: بعلبك وحضرموت، والإسناديَّة نحو: تأبَّط شرًّا، وشاب قرناها، وأسماء الأفعال، نحو: هَلمَّ، ممَّا أفاض أئمَّة اللغة القدماء في دراستها[4].

٣. اللغات المتصرِّفة (Inflecting Languages):

ويتَّسـم هذا النوع من اللغات بأنَّ كلماته من ناحية الـصرف (المورفولوجيا) يتغيَّر معناها بتغيُّر البنية[5]، أي إنَّ معاني كلماتها تتولَّد بوسـاطة الاشـتقاق، الذي يسـتند إلى

(١) ظ: دور الكلمة في اللغة: ١٦٣.
(٢) ظ: علم اللغة: ١٧٠
(٣) ظ: مناهج البحث في اللغة: ٢٢٢، دور الكلمة في اللغة: ١٦٢، هامش المترجم.
(٤) ظ: على سبيل التمثيل كتاب (شرح المفصَّل) لابن يعيش (ت٦٤٣هـ): ٢/ ٢٨٩ وما بعدها.
(٥) ظ: علم اللغة: ١٠٦، مدخل إلى فقه اللغة العربيَّة (د. أحمد محمَّد قدور): ٥٧.

أصوات زائدة تُضاف إلى الجذر؛ ولذلك سمِّيت اللغات المتصرِّفة[١].

وقد وصف طه باقر هذا الضرب من اللغات بقوله: «والظاهرة المألوفة لنا في هذا النوع من اللغات، كما نشاهدها في لغتنا العربيَّة، هي التصريف والاشتقاق بتغيير أصول الكلمات، عن طريق تغيير حركاتها الداخليَّة، أو بإضافة بعض حروف الاشتقاق مفردات جديدة فيها معنى الأصل وزيادة، فمن الجذر الثلاثي مثلًا نستطيع أن نشتق عشرات الاشتقاقات، والأمر الذي أكسب اللغة العربيَّة بوجهٍ خاص، واللغات الساميَّة بوجهٍ عام، ثروة كبرى في المفردات المشتقَّة»[٢]. فمن المادَّة اللغويَّة (الجذر) تتولَّد أنواع المشتقَّات والأفعال، وهذا يدلُّ على سعه اللغة بتوليد المعاني الجديدة بالاشتقاق.

أمَّا من ناحية النظم، فإن كلمات هذا النمط اللغويّ تتحلَّل إلى أجزاء التركيب من فعل وفاعل ومفعول وتابع؛ لذا سمِّيت هذه اللغات تحليليَّة[٣]، ويكون هذا بفضل وجود ظاهرة الإعراب فيها، وخير ما يمثِّل هذا النمط من اللغات هو اللغات الجزريَّة، وفي طليعتها العربيَّة، وتليها اللغات الهنديَّة والأوربيَّة[٤].

إلَّا أنَّ هذه النظريَّة التي قسَّم (شليجل) في ضوئها اللغات، واجهتها عاصفة من النقد، إذ اعترض عليها معاصروه من اللغويِّين، وكان اعتراضهم عليها من ناحيَتَين[٥]: **الأولى**: أنَّ معظم اللغات لا تنتمي إلى فصيلة من هذه الفصائل الثلاث بشكل مطلق، بل تنضوي تحت فصيلَتَين منها أو كلّها، **والثانية**: أنَّ هذا التصنيف من حيث الشكل يعدُّ

(١) ظ: علم اللغة: ١٠٦، أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ١٠٥.
(٢) الأنسان صانع الكلمة: ١١٦.
(٣) ظ: فقه اللغة العربيَّة: ٦٠، أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ١٠٥.
(٤) ظ: بلاد الرافدين: الكتابة، العقل، الآلهة (جان بوتيرو)، ترجمة الأب البير أبونا، مراجعة د. وليد الجادر: ٩٥، دراسات في فقه اللغة: ٤٦.
(٥) ظ: دلالة اللواصق التصريفيَّة في اللغة العربيَّة: ٦٥.

سـطحيًّا، فهو يجمع السوابق تحت فصيلة واحدة؛ لأنَّ اللغات التي تعتمد على السوابق تختلـف من ناحية الفكر اللغـويّ عن اللغات التي تعتمد عـلى اللواحق، وزاد الدكتور عـلي عبد الواحد وافي اعتراضًا ثالثًا يقترب من الاعـتراض الأوَّل، يتمثَّل في قوله: «إنَّ الأسـاليب الثلاثة التي تعرَّض لها (التصرف واللصق والعزل) توجد مجتمعة في كلِّ لغة إنسانيَّة، وأنَّه من المتعذَّر أن نعثر على لغة عارية عن أسلوب منها»[1].

ويمكـن القول إنَّ الاعـتراض الأوَّل مردود؛ لأنَّه من الطبيعـي ألَّا تنتمي اللغات إلى فصيلة واحدة بشـكل مطلق؛ لأنَّه ليسـت هناك لغة إلصاقيَّة محضة، أو لغة اشتقاقيَّة محضـة، واللغات الاشـتقاقيَّة، وإن اعتمدت في بناء صيغها عـلى الإلصاق، وفي أحيان نادرة على العزل، كقولنا في العربيَّة: ضرب عيسـى موسى، يكون الاشتقاق هو الغالب فيهـا، فترجَّـح كفَّته عـلى الطريقَتَين الأُخرَيـين، وكذلك الأمر مع اللغـات الإلصاقيَّة، فإنَّها تعتمد على الإلصاق اعتمادًا أساسـيًّا، أمَّا الاشـتقاق والعزل فتعتمد عليها اعتمادًا ثانويًـا، أمَّا الاعتراض الثاني فهو مردود أيضًا؛ لأنَّ المقصود هو عمليَّة الإلصاق بصورة عامَّة سـواء أكانت بالسـوابق أم باللواحق أم بالمقحمات، على الرغم من اختلاف دلالة كلٍّ منهـا، واعـتراض الدكتور عليّ عبد الواحد وافي فيه نظـر أيضًا؛ لأنَّه عمَّم التصرُّف واللصق والعزل في كلِّ لغة إنسـانيَّة؛ فقد توجد لغات لا تعرف إلَّا العزل، ومنها اللغة الصينيَّة، ومنها ما يكتفي بالعزل واللصق فقط، كاللغة التركية واللغة اليابانيَّة[2].

إلَّا أنَّه يمكن الاعتراض على نظريَّة (شليجل) بما قاله تلميذه (جوهانز شيميدت)، فقـد بيَّن أنَّ التطوُّر اللغويّ الذي تعرض له اللغات (العزل، الإلصاق، الاشـتقاق) إنَّما يظهـر في اللغة على شـكل موجات، وهذه الموجات قد تكـون محدودة وضيِّقة في بعض

(١) علم اللغة: ١٠٨.

(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٠٨.

اللغـات، وواسـعة وقويَّة في لغات أخرى، وقد لا تظهر أساسًـا في لغـات ثالثة، فليس مـن الثابت أنَّ كلَّ لغـة يجب أن تمرَّ بهذه المراحل الثـلاث[1]، أي العزل ثمَّ الإلصاق ثمَّ الاشتقاق.

إنَّ هـذه النظريَّـة، عـلى الرغم مـن النقد الـذي تعرَّضت له، نجحـت في تصنيف اللغـات في ضوء القوانـين المتعلِّقة بعلمَي الـصَّرف والنحو، وبذلـك يتَّضح قربها من اللغـة، وبوسـاطتها تتمُّ المفاضلة بين اللغـات في قابليَّتها الاشـتقاقيَّة والتصريفيَّة، وبها يتبيَّن أنَّ اللغـة العربيَّة فاقت غيرها من اللغات بحيويَّتها وثروتها اللغويَّة التي تراكمت بفعل الاشتقاق والتركيب والإلحاق والتصريف ونحوها في توليد المفردات.

التصنيف الثاني: من حيث الأصل والقرابة

قد تعترض اللغة عوامل مؤاتية فتؤثِّر فيها، فلو اتَّسـعت رقعتها، وفصل بين أجزاء أراضيهـا عوامـل جغرافيَّة أو اجتماعيَّـة؛ لأدَّى هذا الأمر إلى تشـعُّبها إلى لهجات عدَّة، لا تلبـث هـذه اللهجات أن تسـتقلّ وتنماز بصفات خاصَّـة[2]، وهذه الظاهرة تسـمَّى الانشـعاب اللهجيّ الذي يظهر بتعدُّد نطق المتكلِّمين المنتسـبين إلى لغة أم، فيتكون من ذلك النطق المتعدِّد لهجات أو لغات متعدِّدة تشعَّبت عن اللغة الأم؛ بسبب عوامل كثيرة لعلَّ أهمها الانعزال[3].

وقـد عرَّف طه باقر مصطلح الأسرة اللغويَّة، فقال: «مجموعة من اللغات متحدِّرة من أصل واحد، ولذلك هي تتشـابه في مفرداتها الأساسية معنًى ولفظًا، ولكن ليس إلى حدِّ التطابق وفي نحوها، أي تركيبها وأساليبها اللغويَّة»[4].

(١) ظ: مقدِّمة لدراسة فقه اللغة: ١٢٦.
(٢) ظ: علم اللغة: ١٥٩-١٦٠، في اللهجات العربيَّة (د. إبراهيم أنيس): ٢٠-٢١.
(٣) ظ: المعجم المفصَّل في فقه اللغة (د. مشتاق عبَّاس معن): ٥٥.
(٤) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦٠-٦١.

أمَّـا المعيار الذي اعتمد عليه الباحثون المحدثون في تصنيف اللغات إلى أسر معيَّنة، فهـو صلات القرابة في ما بينها من ناحية الخصائـص البنيويَّة التي تعدُّ العامل الأوَّل في إثبات القرابة، ثمَّ المفردات اللغويَّة[١]، وسـمِّي هذا التصنيف التكوينيّ للغات[٢]، وقد اعتمد (ماكس مولر) على هذه الأسـس في تقسـيم لغات العالم[٣]، فقسَّـمها على ثلاث أُسر هي:

١. أسرة اللغات الهنديَّة- الأوربيَّة (Indo- Europeenne).

٢. أسرة اللغات الساميَّة- الحامية (Chamito- Semitiques).

٣. أسرة اللغات الطورانيَّة (Touranienne).

إنَّ الأسرة الثالثـة (الطورانيَّـة) التي تضـمُّ طائفة من اللغات الآسـيويَّة والأوربيَّة التي تدخل تحت الفصيلَتَين السـابقَتَين، لم يطمئنَّ إليها كثـير من الباحثين؛ لأنَّ أفرادها متنوِّعة ومتباعدة جدًّا، وليس بينها روابط لغويَّة واضحة؛ وهذا ما دعا الجمعيَّة اللغويَّة الفرنسـيَّة إلى دراسـة هذه الأسرة الاصطلاحيَّة، فقسَّـمت لغاتها على تسع عشرة أسرة، تنفـرد كلُّ واحدة منهـا بروابط من القرابـة اللغويَّة في الأصـول والقواعد والتركيب، وبذلك أصبحت أسر اللغات الإنسانيَّة إحدى وعشرين أهمّها الأوَّليان، والباقية ثانوية متفرِّعة في بقاع مختلفة من العالم[٤].

(١) ظ: الفلسفة اللغويَّة: ٢٤، (هامش)، علم اللغة العربيَّة: ١٣١.

(٢) ظ: فقه العربيَّة المقارن: ٢٣.

(٣) فطـن كثير من الباحثين قبل ماكس مولر إلى صلات القرابـة التي تربط اللغات الهنديَّة والآريَّة والأوربيَّـة بعضهـا ببعض، وإلى الصفات التي يشـترك فيها أفـراد الفصيلة الحامية- السـامية، لكـن ماكس مولر هو صاحب الفضـل في تكملة هذه البحوث ونشرهـا. ظ: علم اللغة: ١٨٠ وما بعدها.

(٤) ظ: علم اللغة: ١٨٨-١٨٩، دراسات في فقه اللغة: ٤٢.

المبحث الثاني

اللغات الجزريَّة[1]

أ. تسميتها:

يُطلق مصطلح (اللغات الساميَّة) على مجموعة من اللغات التي نطقت بها الشعوب الآراميَّة والعبريَّة والبابليَّة والآشوريَّة والعربيَّة والحبشيَّة[2]، وأوَّل من أطلق هذه التسمية العالم الألماني شلوتزر (Schlotzer) في نهاية القرن الثامن عشر، حينما كان يبحث عن تسمية مشتركة للعبريِّين والعرب والأحباش الذين تثبت بين لغاتهم صلات القرابة[3]. وقد شاركه في هذه التسمية العالم الألمانيّ إيكهورن (Eichhorn)[4]، وقد ظنَّ شلوتزر أنَّ متكلِّمي هذه اللغات ينحدرون من سام بن نوح، معتمدًا في ذلك على جدول تقسيم الشعوب الوارد في التوراة، ذلك الجدول الذي يُرجِع كلَّ الشعوب التي عمَّرت الأرض بعد الطوفان إلى أولاد نوح عليه السلام الثلاثة: سام وحام ويافث[5]، «فسمَّى لغات نسل سام باللغات الساميَّة، والمتكلِّمين بها

(١) وفي اصلاح الغربيِّين ومن شايعهم من العرب (اللغات الساميَّة).

(٢) ظ: اللغات الساميَّة (تيودور نولدكه)، ترجمة د. رمضان عبد التواب: ٨، تاريخ اللغات الساميَّة (إسرائيل ولفنسون): ٢، فقه اللغة: ٦.

(٣) ظ: فقه اللغات الساميَّة (كارل بروكلمان)، ترجمة د. رمضان عبد التوَّاب: ١١، الكنز في قواعد اللغة العبريَّة (محمَّد بدر): ٩-١٠.

(٤) ظ: دراسات في فقه اللغة: ٤٧، اللغة العربيَّة وآدابها (د. محمَّد التونجي): ١٣.

(٥) ظ: سِفر التكوين، الإصحاح العاشر: ١.

بالساميِّين»[1]، وقد استقرَّت هذه التسمية في نفوس الباحثين واللغويِّين الغربيِّين؛ لأنَّها سهَّلت كثيرًا في تصنيف لغات الشرق الأدنى؛ ولأنَّها مختصَرة ومناسبة عندهم[2]، حتَّى بات من الصعب ترك هذه التسمية واستبدالها بتسمية مناسبة، ولكن هذا لم يمنع عددًا من الباحثين العرب، ولاسيما من اشتغل منهم بالدراسات الآثاريَّة واللغويَّة والتاريخيَّة في العصر الحديث، فدَعوا إلى أعادة النظر فيها، وإيجاد تسمية بديلة لها، مستفيدين من النتائج التي توصَّلت إليها تلك الدراسات التي ظهرت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين[3]، فقد أثبتت تلك الدراسات عدم دقَّة الأخبار الواردة في أسفار العهد القديم فيما يخصُّ أنساب نوح وأولاده، إذ جاء في جدول الأنساب في الإصحاح العاشر من سفر التكوين ما نصُّه: «وبنو سام: عيلام وآشور وأرفكشاد ولود وآرامك..»[4].

فهو يجعل العيلاميِّين واللوديِّين من الساميِّين؛ لامتزاجهم بالآشوريِّين وخضوعهم لسلطانهم السياسيّ[5]، مع أنَّهما في حقيقة الأمر «أجنبيَّان عن شعوب الساميَّة، وأجنبيَّان أحدهما عن الآخر، فالعيلاميُّون يغلب على الظنِّ أنَّهم من جنس إيرانيّ، في حين أنَّ اللوديِّين غير معروفي الأصل، لكن من المقطوع به أنَّهم غير ساميِّين، وأنَّه لا يجمعهم بالعلاميِّين أصل قريب»[6].

(١) اللغة الأكديَّة: ٦٥.

(٢) ظ: أقوام الشرق الأدنى القديم وهجراتهم (د. فرج بصمجي) سومر، ١٩٤٧، مج٣: ١/ ١٩.

(٣) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦٧، المدخل إلى تاريخ اللغات الجزريَّة (د. سامي سعيد الأحمد): ٣، اللغة الأكديَّة: ٦٥.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح العاشر: ٢٢.

(٥) ظ: فقه اللغات الساميَّة: ١١، فقه اللغة: ٢٢.

(٦) فقه اللغة: ٦.

وعلى هذا أيضًا، أقصى سِفر التكوين الكنعانيِّين عن مجموعة الشعوب الساميَّة، وجعلهم من الحاميِّين لبعض الروابط السياسيَّة والثقافيَّة التي تربطهم بالمصريِّين والبربر، جاء في ذلك السفر: «وبنو حام: كوش ومصر ايم وفوط وكنعان..»[1].

وقد بيَّن الدكتور إسرائيل ولفنسون الدافع إلى إقصاء الكنعانيين عن الشعوب السامية في قوله: «إنَّ الرابطة التاريخيَّة التي كانت تربط العبريِّين بالكنعانيِّين كانت قد تفكَّكت عراها وامَّحت آثارها منذ عهد بعيد قبل خروج بني إسرائيل من الجزيرة العربيَّة»[2].

وأغلب الظنِّ أنَّ الكنعانيِّين (الفينيقيِّين) يمثِّلون أوَّل هجرة ساميَّة من الجزيرة العربيَّة إلى أرض العربيَّة إلى أرض كنعان (فلسطين). أمَّا بنو اسرائيل، فقد نزحوا من شبة جزيرة سيناء، وأغاروا على الكنعانيِّين في أرضهم[3]، والغريب أيضًا «أنَّ سفر التكوين لم يذكر العرب من بين أولاد نوح أو سام، وكأنَّهم لم يكن لهم وجود في المنطقة»[4].

على حين أنَّ اسم العرب كان معروفًا منذ مدَّة سحيقة في القِدَم، بل هي سابقة لتاريخ تدوين أسفار العهد القديم بقرون عدَّة، يقول طه باقر: «إنَّ أقدم ذِكر- على

(١) سفر التكوين، الإصحاح العاشر: ٦.

(٢) تاريخ اللغات الساميَّة: ٢-٣.

(٣) ظ: اللغة العبريَّة وآدابها: ٢٣، اللغة الأكديَّة: ٦٦، وتشير المصادر التاريخيَّة إلى أنَّ بني إسرائيل كانوا قبائل رعويَّة تجوب صحراء سيناء، وتتنقَّل بينها وبين شمال الحجاز طلبًا للماء والكلأ، وقد نزحوا من شبة جزيرة سيناء، وأغاروا على أرض كنعان بعد موت النبيّ موسى عليه السلام بقيادة يوشع بن نون، فاحتلُّوا قسمًا منها ودانت لسلطانهم، وبدؤوا بالاستقرار في أجزاء من أرض كنعان في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ظ: أسرار صناعة اللغة «دراسة مقارنة» (د. محمَّد مصطفى): ٢٩.

(٤) اللغة الأكديَّة: ٦٦.

مـا نعلم حتَّـى الآن- لبعـض القبائل العربيَّة باسـم العـرب قد جائنا مـن زمن الملك الآشوري شيلمنصر الثالث في أخبار حربه في موقعة القرقار، ٨٥٣ق.م»[١].

إنَّ هذا الاضطراب وعدم الدقَّة اللَّذَين جاءا في سـفر التكوين، لا يمكن تفسـيرهما إلَّا بأنَّ كتاب أسـفار العهد القديم قد تصرَّفوا به حسـب أهوائهم وميولهم، فجعلوا من صادقهم اليهود، من أبناء سـام، ومـن عاداهم اليهود جعلوهم غير سـاميِّين[٢]، واعتماد هـؤلاء الكتَّاب على الروابط الثقافيَّة والجغرافيَّة والسياسـيَّة، وإهمالهم الروابط الشـعبيَّة وصلات القرابة للشعوب التي تسمَّى الشعوب الساميَّة قد أوقعهم في مزالق كثيرة[٣].

وبعـد إيضاح تلك الشـكوك التـي أُثيرت حول التسـمية، وتبيـان خطئها، فلماذا لا نسـتبدلها بتسمية أخرى مناسبة؟ فهذا كبير المستشرقين (نولدكه)، وإن صرَّح بأنَّه من غـير الصواب تركها، يقـول بعد ذلك: «إنَّه ينبغي على العلم أن يصطنع لها اسـمًا يكون حسنًا، حين تكون كلُّ تلك التسميات قصيرة وواضحة»[٤].

وفضلًا على ذلك، فإنَّ هذه التسـمية باتت تسـتعمل في العصر الحديث مصطلحًا سياسـيًّا يخدم الأباطيـل الصهيونيَّة، وسـلاحًا يُرفَع بوجه كلِّ مـن لا يرضخ لها بحجَّة معاداتها للساميَّة، واقتصر إطلاقها على اليهود فقط[٥]؛ لذا أصبح إيجاد تسمية بديلة لهذه الأقوام (السـاميَّة)، وللغات التي اسـتعملتها هذه الأقوام، أمـرًا لازمًا، يقول طه باقر: «يجدر أن نبيِّن أنَّ هذه التسـمية الشـائعة، أي السـاميِّين واللغات السـاميَّة، غير موفَّقة،

(١) علاقة بلاد الرافدين بجزيرة العرب، سومر، ١٩٤٩، مج/ ٥؟، ج٢/ ١٢٣-١٢٤.
(٢) ظ: علم اللغة العربيَّة: ١٣٣ (الهامش).
(٣) ظ: فقه اللغة: ٦، فقه اللغة العربيَّة: ٦٧.
(٤) اللغات السامية: ٩.
(٥) ظ: اللاسـامية في الفكر الصهيوني، الجذور التاريخية والأهداف (عبد الوهاب محمد الجبوري): ١٣- ١٤، ٢٢-٢٣، اللغة الأكدية: ٦٧.

ولا صحيحة في رأيي، رغم[1] شيوعها في الاستعمال»[2]. وقد شاع في الأوساط العلميَّة أنَّ شبة الجزيرة العربيَّة هي مسقط رأس تلك الأقوام العربيَّة القديمة (الساميَّة)، وسندنا في ذلك ما يأتي:

١. يذكر التاريخ أنَّ الأقوام الساميَّة التي كانت تعيش في أماكن خارج الجزيرة العربيَّة، إنَّما قصدوها مغيرين أو مهاجرين، يقول بروكلمان: «أنَّه قد لوحظ في العصور التاريخيَّة كيف أنَّ بلاد الحضارة في ما بين النهرين وسوريا كانت تكتسحها دائمًا وأبدًا موجات من القبائل البدويَّة القادمة من الصحراء العربيَّة، حتَّى غمرت أخيرًا إحدى هذه الموجات القويَّة هي المسمَّاة بالموجات العربيَّة كلّ صدر أسيا وشمالي إفريقيا، إذا تأمَّل المرء في كلِّ هذا، فإنَّه يمكنه حقًّا أن يعتقد أنَّ الجزيرة العربيَّة هي المكان الذي يصلح لأن يكون مهد الساميِّين الأوَّل، وذلك المهد الذي يرجِّح أنَّ الشعب السامي الذي يقطن الحبشة قد خرج منه كذلك»[3].

٢. إنَّ كثيرًا من الباحثين يؤكِّدون أنَّ أوَّل هجرة ساميَّة إلى الحبشة كانت من اليمن، وهذا يرجِّح أنَّ المهد الأوَّل لجميع الشعوب الساميَّة هو الجزيرة العربيَّة؛ لأنَّ اليمن تقع في القسم الجنوبيّ الغربيّ منها[4].

٣. إنَّ الحوادث التاريخيَّة والسياسيَّة دلَّت على أنَّ سكَّان الصحارى والجبال المجدبة كانوا يطمحون دائمًا إلى سكنى المدن (التحضُّر)، والأقامة في البلدان الخصبة المجاورة للأنهار، وهذا ما يدعوهم إلى الغارات ومهاجمة الممالك

(١) لا يصُّح أن يقال: (رغم)، بل الصواب (بالرغم)، أو (على الرغم).
(٢) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦٧.
(٣) فقه اللغات الساميَّة: ١٢.
(٤) ظ: فقه اللغة: ١١.

المجاورة لهم، وهذا الأمر ينطبق تمام الانطباق على هجرة الساميِّين من الجزيرة العربيَّة إلى البلدان الخصبة[١].

٤. إنَّ الشعوب التي تسمَّى ساميَّة تجمعها صفات لغويَّة واحدة ترجع كلُّها إلى المحسوسات الماديَّة التي لا تنشأ إلَّا في مواطن صحراويَّة قليلة الظواهر الطبيعيَّة وفقيرة المناخ، فالغضب- مثلًا- يعبَّر عنه بكلمة تدلُّ على الرعشة أو الغليان، والتكبُّر يعبَّر عنه بكلمة تدلُّ على الشموخ بالرأس، أو استطالة القامة..[٢].

٥. ومن هذا يتَّضح «أنَّ عقليَّة هذا شأنها، لا تنشأ إلَّا في مواطن صحراويَّة قليلة المظاهر الطبيعيَّة غير متنوِّعة الأجزاء.. وهذه الأوصاف متوافرة في الحجاز ونجد وما إليهما»[٣]. أي الجزيرة العربيَّة.

وبذلك تكون الجزيرة العربيَّة هي المهد الأوَّل لتلك الأقوام، فمن المناسب جدًّا أن تكون التسمية البديلة مرتبطة بشبة الجزيرة العربيَّة وبالأقوام التي تعيش فيها، وقد اقترح الباحثون المحدثون تسميات بديلة، فقد ارتأى الدكتور جواد عليّ تسمية هذه الأقوام بـ(العرب)؛ لأنَّهم المادَّة الأساسيَّة لسكَّان شبه الجزيرة العربيَّة، وسمَّى لغات أولئك الأقوام (اللغات العربيَّة) بدلًا من (اللغات الساميَّة)[٤]، واقترح الدكتور محمَّد بهجت قبيسي تسمية هذه اللغات (اللهجات العربيَّات أو العروبيَّة)[٥].

(١) ظ: فصول في فقه العربيَّة: ٤١-٤٢.

(٢) ظ: فقه اللغة: ١١-١٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٢.

(٤) ظ: تاريخ العرب قبل الإسلام (د. جواد عليّ): ٢/ ٢٨٧.

(٥) واستعملها في كتابة: (ملامح في فقه اللهجات العربيَّات من الأكديَّة والكنعانيَّة وحتَّى السبئيَّة والعدنانيَّة)، دار شمال، دمشق، ١٩٩٩م.

وسمَّاها الدكتور خالد إسماعيل علي (اللغات العاربة)[١].

أمَّا طه باقر فقد اقترح تسمية (أقوام الجزيرة) أو (الجزريِّين) أو (الأقوام العربيَّة القديمة)، بدلًا من (الأقوام أو الشعوب الساميَّة)، و(اللغات أو اللهجات العربيَّة القديمة) أو (اللغات الجزريَّة)، بدلًا من (اللغات الساميَّة)[٢].

وهذه التسميات مناسبة لما تقدَّم من الأدلَّة، ولا حرج أو بأس من استعمالها بدلًا من مصطلح (اللغات الساميَّة) الذي شاع في الأوساط العلميَّة.

ب. أقسامها:

قسَّم الباحثون اللغات الجزريَّة من ناحية تشابهها اللغويّ وتوزيعها الجغرافي على كتل لغويّ، قال طه باقر في مقام حديثه على هذه اللغات: «إنَّ موضوعنا ذو صلة لازمة في (التعرُّف على الفروع)، أوَّل اللهجات التي تفرَّعت إليها عائلة اللغات العربيَّة القديمة، وموجز ذلك أنَّ الباحثين تواضعوا على تصنيف أفراد هذه العائلة اللغويَّة إلى مجموعَتَين أو كتلَتَين كبيرتَين تضمُّ كلٌّ منها عددًا من اللغات أو اللهجات المتقاربة»[٣]، وهاتان الكتلتان أو المجموعتان اللتان أشار اليهما طه باقر، هما: مجموعة اللغات الجزريَّة الشرقيَّة، ومجموعة اللغات الجزريَّة الغربيَّة[٤]. وتقابلان عند المستشرقين ومن تلمذ لهم من العرب: مجموعة اللغات الساميَّة الشرقيَّة، ومجموعة اللغات الساميَّة الغربيَّة[٥]، ثمَّ

(١) وبها وسم كتابة (فقه لغات العاربة المقارن)، إربد، ٢٠٠٠م.

(٢) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦٧، من تراثنا اللغويّ القديم، الدراسة: ط، م، ص، ق.

(٣) من تراثنا اللغويّ القديم: الدراسة: ص.

(٤) ظ: رواسب لغويَّة قديمة في تراثنا اللغويّ (أ. طه باقر) مقال، مجلَّة التراث الشعب، ١٩٧١، ع١٠، السنة الثانية: ١٢.

(٥) ظ: فقه اللغات الساميَّة: ١٥، فصول في فقه العربيَّة: ٢٥.

يذكـر طه باقر أنَّه تُلحَـق بالمجموعة الثانيـة أو تقع ما بين المجموعَتَـين اللغات العربيَّة بفرعيها: العربيَّة الجنوبية، والعربيَّة الشمالية[١].

كتلة اللغات أو اللهجات الشرقيَّة:

انتشرت هذه اللغات في بـلاد الرافدين (بلاد ما بين النهرين) في الألفين والنصف قبـل الميـلاد، أو الألف الثالـث قبل الميـلاد، وهي أقدم مـا لدينا من نصـوص جزريَّة (سـاميَّة)[٢]. وذكر طه باقر أنَّ أقدم لغة في هـذه المجموعة اللغويَّة، فقال: «عُرفتْ أقدم لهجاتها باسم اللغة الأكديَّة نسبة إلى بلاد أكد المشتقّ اسمها من عاصمة السلالة الأكديَّة (٢٣٧٠-٢١٤٥ق.م) التي أسَّسـها مؤسِّس السـلالة، وهو (سرجون)، وسمَّاها أكادة أو أكد[٣]، واللغة الأكديَّة «اسـم جامع أطلقه البابليُّـون في جنوب أرض الرافدين على لغتهم البابليَّة ولغة إخوانهم الآشوريِّين في شمال أرض الرافدين، وهي كذلك في اصلاح العلـماء المحدثين، يطلقونها عـلى اللهجات البابليَّة والآشـوريَّة المختلفـة»[٤]. وأصبح مصطلـح (اللغة الأكديَّة) يقابـل عند اللغويِّين الآثاريِّين مصطلح (علم الآشـوريَّات) (Assyriology)[٥].

(١) ظ: رواسب لغوية قديمة في تراثنا اللغويّ: ١٢.

(٢) ظ: علم اللغات الساميَّة المقـارن(إدورد الندروف) ترجمة د. عرفـة مصطفى، مقال، مجلَّة بين النهرين، ١٩٨١، مج٣٦، السنة التاسعة: ١٧٣، دراسات في فقه اللغة العربيَّة (د. السيِّد يعقوب بكر): ٦.

(٣) من تراثنا اللغويّ القديم: الدراسـة: ق. ويقول طه باقر: «مدينة أكادة أو أكد لا يعلم اشتقاقها أو معناها، كما أنَّ موقعها لم يعيَّن بعد، والمرجَّح أنَّه في المنطقة المحصورة بين شمال بابل إلى حدود بغداد أو المحموديَّة».

(٤) دراسات في فقه اللغة العربيَّة: ٦.

(٥) ظ: مـن أصـول اللغة الأكديَّة (د. خالـد الأعظميّ) مقال، سـومر ١٩٧٠، مج٤٩، ج١-٢/ ٨.

وقد بيَّن طه باقر أنَّ اللغة الأكديَّة انقسمت في الألف الثالث ق.م. على فرعَين كبيرين، هما اللغة البابليَّة واللغة الآشوريَّة[١]، وهاتان اللهجتان لم تبقيا على حالهما، بل تطوَّرتا إلى لهجات عديدة متقاربة بفعل التطوُّرات والتغيُّرات اللغويَّة التي اقتضتها سنن الزمن[٢]، وذكر بعد ذلك هذه اللهجات ومراحلها الزمنيَّة، مبيِّنًا أنهَّا من بعد نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وبالتحديد منذ نهاية سلالة أور الثالثة (٢٢١٢-٢٠٠٤ق.م) وتفرَّعت اللغة البابليَّة إلى الأدوار الآتية[٣]:

١. البابليَّة القديمة (في حدود٢٠٠٠ق.م-١٥٠٠ق.م).

٢. البابليَّة الوسيطة (١٥٠٠ق.م-١٠٠٠ق.م).

٣. البابليَّة الحديثة (١٠٠٠ق.م-٦٠٠ق.م).

٤. البابليَّة المتأخِّرة (٦٠٠ق.م-القرن الأوَّل الميلادي).

وشبه ذلك ما طرأ على اللغة الآشوريَّة من أدوار إلى[٤]:

١. الآشوريَّة القديمة (٢٠٠٠ق.م-١٥٠٠ق.م).

٢. الآشوريَّة الوسيطة (١٥٠٠ق.م-١٠٠٠ق.م).

٣. الآشوريَّة الحديثة (١٠٠٠ق.م-٦١٢ق.م).

ويبدو أنَّ هذا التقسيم الذي يستند إلى صلات القرابة العراقيَّة والجغرافيَّة للغات الجزريَّة لم يكن موضع اتِّفاق تام بين العلماء؛ لأنَّه لم يخلُ من مشكلات التداخل بين

(١) ظ: من تراثنا اللغويّ القديم: الدراسة: ر.
(٢) ظ: المصدر نفسه: الدراسة: ر.
(٣) ظ: المصدر نفسه: الدراسة: ر.
(٤) ظ: من تراثنا القديم: الدراسة: ر.

المراحل التي مرَّت بها هذه اللغات، إلى جانب مشكلات أُخر تتعلَّق بالصعيد الذي استُعملت فيه اللغة الأكديَّة، إذ إنَّ من المألوف أن يختلف الشعر عن النثر، والعامِّيّ عن الفصيح، ولغة التجَّار عن لغة الفلَّاحين، إلى غير ذلك[١].

وقد أشار طه باقر إلى بعض الخصائص التي انمازت بها تلك اللهجات الأكديَّة، فمن ذلك قوله: «إنَّ اللغة الأكديَّة.. منذ بداية تدوينها في العصر الأكديّ (٢٣٧٠-٢١٦٠ق.م)، حتَّى نهاية سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) ظلَّت محتفظة بالأصوات العربيَّة القديمة (الساميَّة الأصليَّة)، ومنها أصوات الحلق، ولكنَّها أخذت في الضياع من بعد ذلك؛ بسبب اتِّخاذ الخطِّ المساري في تدوينها، وهو الخطّ الذي سبق أن ذكرنا أنَّ السومريِّين هم الذين ابتدعوه لتدوين لغتهم الخالية من أصوات الحلق»[٢].

ويبدوا أنَّ ما قاله طه باقر يحتاج إلى تحديد دقيق، وذلك لسببَين، الأوَّل: إنَّ اللغة الأكديَّة لم تفقد أصوات الحلق جميعها التي هي (ء، ه، ع، ح، غ، خ)، فقد احتفظت باثنين منها، وهما (ء، خ)، والثاني: إنَّ اللغة السومريَّة تحتفظ بهذين الصوتَين أيضًا[٣].

وقد ظنَّ بعض الباحثين أنَّ الأكدية باستعمالهم الخطّ المساريّ السومريّ، فقدوا هذه الأصوات الحلقيَّة كتابةً ونطقًا[٤].

(١) ظ: المستشرقون والمناهج اللغويَّة (د. إسماعيل أحمد عمايرة): ٥٥.

(٢) من تراثنا اللغويّ القديم: دراسة: ر.

(٣) ظ: علم اللغة العربيَّة: ١٥٥، المدخل إلى تاريخ اللغات الجزريَّة: ١٦، بناء الجملة بين العربيَّة والأكديَّة (سلوان شاطر حلحول) رسالة ماجستير، جامعة القادسيَّة، كليَّة الآداب، ٢٠٠٠: ٤٠.

(٤) من هؤلاء الباحثين المستشرق الألمانيّ بروكلمان في كتابة (فقه اللغات الساميَّة): ١٦، والدكتور محمود فهمي حجازي في كتابة (علم اللغة العربيَّة): ١٥٥.

وهـذا الاعتقـاد مردود بما قاله الدكتـور رمضان عبد التوَّاب: «إنَّه يبعد أنْ تنسـى أقوام سـاميَّة نطقها لأصوات الحلق، وأغلب الظنِّ أنَّ الأكديِّين حينما اسـتعملوا الخطَّ السـومريّ، لم يجدوا فيه رموزًا لبعض أصوات الحلق، فاسـتخدموا أقرب الرموز دلالةً للتعبير عن نطق هذه الأصوات»(١).

ويقـوِّي حجَّة الدكتور رمضان عبد التـوَّاب ما ذكره الدكتور محمَّد بهجت قبيسي، فقـد بيَّن أنَّه عند كتابة كلمة (عدنان) في اللغة الأكديَّـة، تبدَّل الهمزة من العين، فنقول: (Adnan)، وعند كتابة كلمـة (حدَّاد) تبدَّل الهاء من الحاء، فنقول (Hadad)، لكنَّنا عند النطق نحافظ على الأصل، أي (عدنان)، و(حداد)(٢). وهذا المخطَّط الميسَّر يوضِّح مظاهر التحوُّل الصوتيّ الكتابيّ لأصوات الحلق في اللغة الأكديَّة(٣):

الحرف	الصيغة الجزريَّة (الساميَّة) ومنها العربيَّة	الصيغة الأكديَّة	التحول الصوتيّ في الخطِّ
هـ	هلك	ء ل ك=alaku	الهاء إلى همزة
ع	عقرب	akrabu	العين إلى الهمزة
ح	حدث	edesu	الحاء إلى الهمزة
غ	غرب	erebu	الغين إلى الهمزة

ومـن الخصائـص الأخـرى في اللغة الأكديَّـة التي ذكرهـا طه باقر الأعـراب، إذ قـال: «حافظـت الأكديَّة إلى ما بعـد نهاية البابليَّـة القديمة على حـركات الإعراب مع

(١) فقه اللغات الساميَّة: ١٦ (الهامش).
(٢) ظ: ملامح في فقه اللهجات العربيَّات من الأكديَّة والكنعانيَّة، وحتَّى السبئيَّة والعدنانيَّة: ٢٧.
(٣) ظ: المدخل إلى علم اللغة (د. رمضان عبد التوَّاب): ٢٢٥-٢٢٦.

التمييـم (Mimation) المضاهـي للتنويـن في العربيَّة، أخذ بالزوال مـن بعد العصر البابـلي والآشـوريّ القديـم.. إنَّ حركات الإعـراب المضاهيـة للعربيَّة، وهـي الضمُّ للرفـع والفتـح للنصِّ والكسر للجـرِّ طرأ عليها الإهمـال، أو عدم التقييـد في مراعتها بالدقَّة»[١].

ولتوضيح هذه الصفة، يذكر اللغويُّون أنَّ الإعراب جزريّ الأصل، إذ تشـترك فيه اللغـات الجزريَّـة، بيد أنَّ معظم هذه اللغـات قد أخذت تفقده بمـرور الزمن، وظلَّت العربيَّـة محافظة عليـه، فهي أرقى اللغـات إعرابًا، ومن بعدها الأكديَّـة، وتوجد بعض المظاهر منه في النبطيَّة والحبشيَّة والعبريَّة[٢].

وقـد تحدَّث الدكتـور إبراهيم السـامرَّائيّ على ظاهرة الإعـراب في اللغة الأكديَّة، ذاكرًا أنَّها عرفت الحركات الثلاث في الأكديَّة القديمة، وأفضل ما يمثل ذلك النصوص الكتابيَّـة المدوَّنـة في عهد حمـورابي، ثمَّ تطـوَّرت هذه الحـركات الثـلاث، وانتهت إلى حركَتَـين، هما الضمَّة في حالة الرفع، والفتحة في حالَتَي النصب والجرِّ، ثمَّ تطوَّرت هذه المرحلة إلى مرحلة الحركة الواحدة، وهي الكسرة الممالة[٣].

أمَّـا التمييـم أو التمويم، فيـكاد الباحثـون المحدثون يجمعون على أنَّـه إلحاق آخر الاسم ميمًا ساكنة، وهو ما يقابل التنوين في العربيَّة الفصحى[٤].

(١) مـن تراثنا اللغويّ القديم: الدراسـة: ر-ش. والصحيح أن يقـال: الضمَّة والفتحة والكسرة، فهي علامات إعراب، أمَّا الضمُّ والفتح والكسر فلا تُستعمل هذه المصطلحات إلَّا في البناء.

(٢) ظ: فقـه اللغة المقـارن: ١١٨، التطوُّر النحويّ للغة العربيَّة (برجشـتراسر) أخرجه وصحَّحه: د. رمضان عبد التوَّاب: ١١٦.

(٣) ظ: فقه اللغة المقارن: ١ ش١٨.

(٤) ظ: الأدب الجاهلـيّ بـين لهجات القبائل واللغة الموحَّدة (د. هاشـم الطعَّان): ١٥، ملامح في اللهجات العربيَّات: ٣٢٥.

وفي ما يأتي جدول يوضِّح كيفيَّة احتواء اللغة الأكديَّة القديمة على ظاهرَتَي التمييم والأعراب، ثمَّ اختفاء التمييم في الأكديَّة الوسيطة والجديدة والمتأخِّرة[1].

كلمة كلب:

الحالة الإعرابيَّة	الأكديَّة القديمة	الأكديَّة الوسيطة والجديدة والمتأخِّرة
الرفع	Kalbum	Kalbu
النصب	Kalbam	Kalba
الجر	Kalbim	Kalbi

نشير اللاحقة (u) في هذا الجدول إلى علامة الرفع، واللاحقة (a) إلى علامة النصب، واللاحقة (i) إلى علامة الجرّ[2]. والميم في نهاية الكلمات الأكديَّة القديمة تشير إلى (التمييم)، وهذا الجدول لا يتَّفق مع ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم السامرَّائيّ، ممَّا يجعل في كلامه نظرًا.

وتوجد ظاهرة أخرى في اللغة الأكديَّة تتعلَّق ببناء الجملة، وهي وضع الفعل في نهاية التركيب، وقد عزا الباحثون هذه الظاهرة إلى تأثير سومريّ[3].

ويقول طه باقر: «إنَّ الجملة الأكديَّة في العصر البابليّ القديم والآشوريّ القديم استقرَّت نوعًا ما في ترتيبها من حيث وضع الفعل في آخر الجملة، بخلاف اللغات الساميَّة (العربيَّة) الأخرى التي يتصدَّر فيها الفعل الجملة، والمرجَّح كثيرًا أنَّ هذا من تأثير اللغة السومريَّة»[4].

(١) ظ: علم اللغة العربيَّة: ١٥٤.
(٢) ظ: فقه اللغات السامية: ١٠٠.
(٣) ظ: قواعد اللغة السومريّ (د. فوزي رشيد): ٥٦، علم اللغة العربيَّة: ١٥٦.
(٤) من تراثنا اللغويّ القديم، الدراسة: ش.

وقد قَصَر الدكتور محمود فهمي حجازي هذه الظاهرة في اللغة الأكديَّة على النصوص النثريَّة، أمَّا النصوص الشعريَّة، فظلَّت محافظة على النمط الجزريّ لبناء الجملة، وهو تصدُّر الفعل فيها(١).

ففي الجملة النثريَّة: (عويلوم ولدت)، أي: ولدت طفلًا ذا عويل، نجد أنَّ الفعل (ولد) جاء في نهاية الجملة(٢).

إنَّ اللغة الأكديَّة، كما يذكر الباحثون، قد عاشت أكثر من خمسة وعشرين قرنًا، وظلَّت لغة الدولة حتَّى القرن السابع (ق.م)، وبذلك القرن سقطت الدولة الآشوريَّة، فأخذت اللغة الأكديَّة بالانحسار، وحلَّت محلَّها الآراميَّة بعد ازدواج لغويّ طويل ظلَّ قائمًا بينهما قرونًا عدَّة، فماتت الأكديَّة مخلِّفة إرثًا لغويًّا متمثِّلًا بالرُّقم الطينيَّة، ومنه مكتبة آشور بانيبال، وملحمة كلكامش، وتراثًا قانونيًّا تمثَّل في شريعة حمورابي(٣).

كتلة اللغات أو اللهجات الجزريَّة الغربيَّة:

يسمِّيها اللغويُّون المحدثون (اللغات الساميَّة الغربيَّة)(٤)، وتُقسَّم عندهم على غربيَّة شماليَّة، وغربيَّة جنوبيَّة، والغربيَّة الشماليَّة تقسَّم بدورها على لغتَين: الكنعانيَّة والآراميَّة(٥).

ويذكر طه باقر أنَّ الموطن الجغرافيّ لهذه اللغات كان في بلاد الشام بمفهومها الجغرافيّ التاريخيّ العام، أي فلسطين وسوريا ولبنان وشرقي الأردن(٦).

(١) ظ: علم اللغة العربيَّة: ١٥٦

(٢) ظ: ملامح في فقه اللهجات العربيَّات: ٣٢٥.

(٣) ظ: علم اللغة العربيَّة: ١٥٧، فقه اللغة العربيَّة: ٧٤.

(٤) ظ: دراسات في فقه اللغة العربيَّة: ٤، فصول في فقه العربيَّة: ٢٧ وما بعدها.

(٥) ظ: دراسات في فقه اللغة: ٥٠، فقه اللغة (د. حاتم الضامن): ٢٦.

(٦) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧١.

أمَّا موسكاتي فيحدِّد موطن المجموعة الشماليَّة الغربيَّة في سوريا وفلسطين، والجنوبيَّة الغربيَّة في شبة الجزيرة العربيَّة وأثيوبيا[١]. ولعلَّنا نجد طه باقر حينما يتحدَّث على هذه اللغات، يكتفي بعرضها عرضًا تأريخيًّا، ولم يحدِّد أقسامها تحديدًا دقيقًا، كما فعل غيره من اللغويِّين[٢].

فعندما يذكر اللغات الكنعانيَّة، يبيِّن أن من أفرادها الفينيقيَّة والعبرانيَّة والأوجاريتيَّة والمؤابيَّة والآموريَّة[٣]. على حين يصنِّف اللغويُّون اللغة الأوجاريتيَّة ضمن الفرع الكنعانيّ الشماليّ، واللغات الأخرى ضمن الفرع الجنوبيّ للغة الكنعانيَّة[٤]. غير أنَّه كان دقيقًا في تحديده حين يتحدَّث على اللغة الآراميَّة، فيذكر أنَّها نشأت في منتصف الألف الثاني (ق.م)، أو القرن الأوَّل (ق.م)، وتفرَّعت بمرور الزمن إلى فرعَين كبيرَين، هما: الآراميَّة الشرقيَّة في بلاد الرافدين، والآراميَّة الغربيَّة في بلاد الشام، ومن اللهجات التي تمثِّل الفرع الشرقيّ اللهجة المندائيَّة الصابئيَّة، واللهجة السريانيَّة، أمَّا الفرع الغربيّ فتمثِّله اللهجة التدمريَّة والفلسطينيَّة والسوريانيَّة والنبطيَّة[٥].

أمَّا مجموعة اللغات الساميَّة الجنوبيَّة، فقد سمَّاها طه باقر (مجموعة اللغات العربيَّة)، وذكر أنَّ أهمَّ فروعها اللغة العربيَّة الجنوبيَّة، مثل المعينيَّة والسبئيَّة واللحيانيَّة والحبشيَّة، ثمَّ اللغة العربيَّة الشماليَّة، وإحدى لهجاتها القرشيَّة[٦].

أمَّا اللغويُّون، فقد قسَّموا هذه المجموعة اللغويَّة على فرعيها: العربيَّة التي تقسَّم

(١) ظ: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: ١٤.
(٢) ظ: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: ١٤-٣٢، فصول في فقه العربيَّة: ٢٥ وما بعدها.
(٣) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٢، من تراثنا اللغويّ القديم، الدراسة: ت.
(٤) ظ: دراسات في فقه اللغة العربيَّة: ٤، فصول في فقه العربيَّة: ٢٧ وما بعدها.
(٥) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٢، تاريخ العراق القديم: ١/ ٦١.
(٦) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٢-٧٣، تاريخ العراق القديم: ١/ ٦١.

على: الشماليَّة الفصحى، الجنوبيَّة التي تمثِّل المعينيَّة والسبئيَّة، أمَّا الفرع الثاني فمثَّلته الحبشيَّة التي منها الأمهريَّة والجورانيَّة والتيجريَّة، وغيرها[1].

ويتَّضح ممَّا تقدَّم، أنَّ طه باقر قد أجمل القول في تلك اللغات الجزريَّة وتقسيماتها، معتمدًا على المنهج الوصفيّ التاريخيّ، أغلب الظنِّ أنَّه آثر الإجمال والاختصار على التفصيل في حديثه على تلك اللغات؛ لأنَّه أراد بذلك العرض المجمل لفت أنظار اللغويِّين الذين قلَّت دراساتهم لتلك اللغات، تاركين ذلك للباحثين الغربيِّين، فهو يقول: «وأحسب أنَّ من الأحسن والأجدى لنا أن نعترف.. وأن نقرأ أيضًا بأنَّ نصيبنا في بحث تراثنا ونشره والتعريف به عن طريق تحقيق نصوصه ومدوَّناته، لا يكاد أن يكون[2]، شيئًا يُذكَر بالمقارنة مع سعة البحوث وضخامتها وجديَّتها ممَّا اضطلع به الباحثون الغربيُّون»[3].

وقال أيضًا: «ولا أزعم أنَّني سأوفي هذا الموضوع الجسيم حقَّه من التقصِّي والبحث، بل إنَّ كلَّ ما أرجوه من طرح هذه الآراء والخواطر أن يكون من قبيل الإثارة لبعض الجوانب الأساسيَّة من الموضوع، حسب ما أراه، وعرضها أمام المعنيِّين من الباحثين العرب للمناقشة»[4].

ولعلَّ هذا هو ما يفسِّر شحَّة المادَّة المتعلِّقة بطه باقر في هذا الفصل، لذا اضطرَّ الباحث إلى مقارنتها بجهود العلماء الآخرين في هذا الميدان من الدراسة.

(١) ظ: فصول في فقه العربيَّة: ٣٤-٣٥، فقه اللغة العربيَّة: ٩٢-٩٤.

(٢) الأفصح أن يقال: لا يكاد يكون.

(٣) بضاعتنا ردت إلينا (خواطر وآراء في تراثنا الحضاريّ للمناقشة) مجلَّة آفاق عربيَّة، ١٩٧٧، العدد ٨، السنة الثانية، القسم الثاني: ٤١-٤٢.

(٤) المصدر نفسه.

ج. خصائصها:

يوجد تشابه كبير بين تلك اللغات في الأصوات والصيغ والتراكيب، وذلك التشابه لا يمكن أن يردَّ إلى حدوث اقتباسات فيما بينها، وإنَّما لا سبيل إلى تفسيره إلَّا بافتراض أصل مشترك لها(١).

بيدَ أنَّ ذلك الأصل قد ضاع على الباحثين بفعل تقادم الزمن والعوامل الكثيرة التي مرَّت بها تلك اللغات(٢). وكلُّ ما قيل في ذلك من آراء لا تتجاوز الهوى النفسيّ والميل العاطفيّ(٣). ولكن أقرب الآراء إلى الواقع ذلك الرأي الذي يذكر أنَّ اللغة العربيَّة هي أقرب لغة إلى الأمِّ الرؤوم؛ وذلك لاحتفاظها بكثير من الأصول الجزريَّة القديمة في أصواتها ونحوها وصرفها واشتقاقها ومفرداتها(٤)، ولا تكاد تضارعها في ذلك أيّ لغة أخرى من شقيقاتها الجزريَّات.

وقد ساهم طه باقر في بيان خصائص تلك اللغات من خلال جهوده اللغويَّة في التراث، وقد بيَّن أنَّه كان له نصيب في تبيان هذه الخصائص، باعتماده على ترجمة الجهود اللغويَّة التي بذلها المستشرقون في الدراسات المقارنة، ومن تلك الخصائص:

١. إنَّها تعتمد في بناء مفرداتها على الحروف أكثر من اعتمادها على الحركات(٥).

وأغلب مفرداتها ثلاثيَّة الأصول(٦)، وأمَّا الحركات فإنهَّا تولِّد الصيغ

(١) ظ: دراسات في فقه اللغة العربيَّة: ١٠.

(٢) ظ: اللغة العبرية وآدابها: ١٦.

(٣) ظ: المصدر نفسه: ١٦.

(٤) صاحب هذا الرأي هو العالم أولسهوزن (Olshhousen)، فقد ارتأى أنَّ العربيَّة هي أقرب لغات الساميِّين إلى اللغة الساميَّة القديمة. وأيَّد رأيه هذا بجملة أدلَّة سلَّم لها الكثير من علماء الإفرنج، ووصل تأثيرها إلى العلماء العرب. ظ: تاريخ اللغات الساميَّة: ٧.

(٥) ظ: فقه اللغات الساميَّة: ١٤، تاريخ اللغات الساميَّة: ١٤

(٦) ظ: اللغات الساميَّة: ١٠، فقه اللغات الساميَّة: ١٥.

والأبنية المتعدِّدة[١]. وبعبارة أخرى إنَّ المعنى الأساسّي في هذه اللغات يرتبط بالحروف (الصوامت)، أمَّا تحديد المعاني وتوليدها، فيكون في الحركات؛ فالكلمات مثل: مكتبة وكاتب وكتاب وكتابة يرتبط معناها الأساس بالجذر (ك ت ب)[٢].

يقول طه باقر: «ترجع الغالبيَّة الكبرى من المفردات في (اللغات الساميَّة)[٣] إلى أصل أو جذر ذي ثلاثة حروف، وتشتق من هذا الأصل صيغ وأبنية مختلفة كثيرة، فيها معنى الأصل، وزيادة بتحوير حركات ذلك الأصل الثلاثي، أو بإضافة زوائد إلى أوَّله أو وسطة أو آخره، وبهذه الوسيلة من الاشتقاق صارت في اللغات الساميَّة ثروة كبيرة من المفردات لا تكاد تضاهى في اللغات الأخرى»[٤].

٢. تنماز اللغات الجزريَّة باشتمالها على حروف الحلق، ولكن بدرجة متفاوتة من لغة إلى أخرى[٥]. وهذه الحروف يكون مخرجها من الحلق: الهمزة[٦]. والهاء والعين والحاء والغين والخاء[٧]. واشتمالها أيضًا على الأصوات المطبقة التي تشترك في سمة واحدة، وهي اتِّخاذ اللسان شكلًا مقعَّرًا منطبقًا على الحنك

(١) ظ: فقه العربيَّة المقارن: ٤٤.

(٢) ظ: المدخل إلى علم اللغة (د. محمود فهمي حجازي): ٩٨.

(٣) تجدر الإشارة إلى أنَّنا أينما وجدنا تسمية الساميَّة عند طه باقر، فهذا يشير إلى عدم نبذه لها إلَّا في نهايات السبعينيَّات من القرن الماضي، وهذا ما يفسِّر وجود تسمية (الساميَّة) هنا.

(٤) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٠.

(٥) ظ: علم اللغة العربيَّة: ١٤٠-١٤٢.

(٦) لكنَّ الهمزة في الدرس الصوتيّ الحديث يكون مخرجها من الحنجرة، فهي صوت حنجريّ لا حلقي.

(٧) ظ: فصول في فقه العربيَّة: ٤٦، المدخل إلى علم اللغة (د. رمضان عبد التوَّاب): ٢٢٢.

الأعلى، ويرجع إلى الوراء قليلا[1]. وهذه الحروف هي (الصاد والطاء والضاد والظاء)[2]، وهي متفاوتة أيضًا من لغة إلى أخرى، ولا توجد في اللغات الأوربيَّة كوجودها في اللغات الجزريَّة؛ لأنَّها في الثانية تكون على شكل وحدات صوتيَّة متميِّزة، على حين أنَّ وجودها في اللغات الأوربيَّة لا يكون بمثابة رموز صوتيَّة متميِّزة، فالهمزة مثلًا في الألمانيَّة تكون مجرَّد وسيلة نطقيَّة لإظهار نطق الحركة، لكنَّها في اللغات الجزريَّة نجدها وحدة صوتيَّة مستقلَّة ومتميِّزة، ففي العربيَّة فرق دلاليّ واضح مثلًا بين الفعلين: سال وسأل»[3].

٣. لا تهتمُّ اللغات الجزريَّة من ناحية الصيغ الفعليَّة بالأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، أي لا توجد فيها صيغ ثابتة تدلُّ على هذه الأزمنة، فهذه اللغات تصبُّ اهتمامها على الحدث المنتهي والحدث الذي لم ينتهِ بعد، والأوَّل يمثِّله الفعل الماضي، والثاني الفعل المضارع[4]. لكنَّنا نلاحظ من اللغتَين الأكديَّة والعربيَّة أدوات وحروفًا كثيرة تحدِّد الدلالة الزمنيَّة فيها، يقول طه باقر ذاكرًا هذه الصفة: «الفعل في اللغات الساميَّة بوجه عام محدَّد الزمن في أصل ما وُضِع له، فالأصل في أزمانة الماضي والحاضر، ولكن الكثير من اللغات الساميَّة، ومنها الأكديَّة والعربيَّة، يستعمل أدوات خاصَّة، أو يحدث تحويرات في صيغ الفعل لمدِّ هذين الزمنَين إلى المستقبل وإلى الماضي البعيد أو القريب»[5].

(١) ظ: الأصوات اللغويَّة (د. إبراهيم أنيس): ٤٦.
(٢) ظ: المدخل إلى علم اللغة (د. رمضان عبد التوَّاب): ٢٢٢، فقه اللغة العربيَّة: ٤٥٠.
(٣) ظ: علم اللغة العربيَّة: ١٤٠.
(٤) ظ: دراسات في فقه اللغة العربيَّة: ١٣، فصول في فقه العربيَّة: ٤٦.
(٥) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٠.

وهكذا نجد في اللغات الجزريَّة صيغتَين للفعل، هما الماضي والمضارع الذي يصلح للحال والاستقبال، إلَّا أنَّه توجد أدوات وحروف تجعله للمستقبل خالصًا كالسين، وسوف، ولن، في العربيَّة، وهنالك أدوات ترجع به إلى الزمن الماضي كـ(لم)[١]، لذلك يذكر سباتينو موسكاتي أنَّ للغات الجزريَّة نظامًا في تصريف الأفعال، يختلف تمامًا عمَّا في اللغات الهنديَّة الأوربيَّة، فليس في الأوَّل صيغ أزمنة بالمعنى الصحيح، إذ هي لا تميِّز إلَّا بين نشاط مستمر أو اعتيادي وحدث تمَّ، فالزمن فيها دائمًا ما يتصيَّد من السياق[٢].

٤. يقسِّم جنس الموجودات في اللغات الجزريَّة تقسيمًا ثنائيًا، وهذا ما أشار إليه طه باقر بقوله: «ليس في اللغات الساميَّة سوى جنسَين هما المذكَّر والمؤنَّث»[٣]، وهذا التقسيم الثنائيّ قاعدة ثابته في هذه اللغات، فلا يوجد خروج عن هذه القاعدة المطردة في أي لغة منها، فالموجات فيها إمَّا مؤنَّثة وإمَّا مذكَّرة لا غير[٤]، على حين نجد اللغات الأوربيَّة تعتمد التقسيم الثلاثيّ، فإلى جانب جنسَي المذكَّر والمؤنَّث، يوجد جنس ثالث يسمَّى (المحايد Neutral)، وهو ما ليس بمذكَّر ولا بمؤنَّث، ويرمز له في الألمانيَّة بالضمير (das)، وفي الإنكليزيَّة بالضمير (it)[٥]، وهذا الجنس تصنَّف فيه المفردات على حسب الصيغة اللغويَّة، لا بحسب ما تدلُّ عليه المفردة في الواقع الخارجيّ، يقول الدكتور محمود فهمي حجازي: «فكل كلمة تنتهي في الألمانيَّة بالنهاية (chen)، أو

(١) ظ: فصول في فقه العربيَّة: ٤٦.

(٢) ظ: الحضارات الساميَّة القديمة: ٤٦.

(٣) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٠.

(٤) ظ: ظاهرة التثنية بين اللغة العربيَّة واللغات الساميَّة، دراسة لغويَّة تأصيليَّة (د. إسماعيل أحمد عمايرة): ١١.

(٥) ظ: المصدر نفسه: ١٢.

بالنهايـة (lein) تعـدُّ من المحايد، بغـضِّ النظر عن مدلولهـا في واقع الحياة، ومـن هذا النوع في اللغة الألمانيَّة كلمة (Fraulein)، ومعناها آنسـة، وكلمة (Madchen) ومعناها بنت.

فكلُّ هذه الأسـماء تصنَّـف في اللغة الألمانيَّة من المحايـد، وذلك وفق الصيغة اللغويَّة، لا وفقًا لما تدلُّ عليه الكلمة في الواقع الخارجيّ»[١].

٥. تتميَّز اللغات الجذريَّة بالعلاقة المعكوسة بين العدد والمعدود من حيث التأنيث والتذكـير من ثلاثة إلى عشرة[٢]، فـ«الأعداد من ثلاثة إلى عشرة تقع في الجنس المخالـف لجنس المعدود دائـمًا في الأصل»[٣]، أمَّا طه باقر، فقد أشـار إلى هذه الظاهرة بقوله: «تتميَّز اللغات السـاميَّة بظاهرة غريبة في العلاقة العكسيَّة بين العـدد والمعدود، من حيث التذكير والتأنيث من الثلاثة إلى العشرة، وشـمول ذلـك الأعـداد المركَّبة بشيء مـن التحوير على نحـو ما هو معـروف في اللغة العربيَّة، وتسمَّى هذه الظاهرة بالاستقطاب الجنسي (Polarity)»[٤].

٦. لا تعرف اللغات الجزريَّة الكلمات المركَّبة أفعالًا وأسـماء، واسـتثنى اللغويُّون مـن ذلك المضـاف والمضاف إليه في هـذه اللغات، فهما بمثابـة كلمة واحدة؛ لترابطهما الوثيق[٥].

وذكر طه باقر هذه الصفة قائلًا: «وتندر في اللغات الساميَّة ظاهرة التركيب في الكلـمات، أي دمج كلمة مع أخرى لتصبح كلمة واحدة، ويُسـتثنى من ذلك

(١) علم اللغة العربيَّة: ١٤٦.
(٢) ظ: مدخل إلى النحو اللغات الساميَّة المقارن: ١٩٧، المدخل إلى تاريخ اللغات الجزريَّة: ١٠.
(٣) فقه اللغات الساميَّة: ١٠٦.
(٤) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٠.
(٥) ظ: فقه اللغات الساميَّة: ١٥، تاريخ اللغات الساميَّة: ١٥، فصول في فقه العربيَّة: ٤٦.

التركيب الخاص بأسماء الأعلام في كثير من اللغات الساميَّة، حيث الغالب فيها.. أنَّها تتألَّف من عبارة أو جملة مفيدة من مُسند ومُسند إليه»[1].

ويذكر اللغويُّون أنَّ هذه السمة خاصَّة باللغات الهنديَّة والأوربيَّة، ووجودها في اللغات الجزريَّة أمر نادر[2].

وهذا الاعتقاد تعوزه الدقَّة؛ لأنَّ اللغات الجزرية- وإن كان الاشتقاق هو السمة البارزة في توليد ألفاظها وإثراء مفرداتها- لا تخلو من ظاهرة مزج الكلمات بعضها ببعض، حتَّى تتولَّد كلمة جديدة، وهذا ما يوضِّحه في العربيَّة- مثلًا- المركَّب المزجي والمركَّب الإضافي، وغيرهما من المركَّبات المؤلَّفة من أقسام الكلمة الثلاثة: الفعل والاسم والأداة، فقد يتركَّب الفعل مع الاسم، فيُقال مثلًا (حبَّذا)، أو مع الأداة، فيقال مثلًا (قلَّما)، وقد يتركَّب الاسم مع الاسم، فيقال (عبد الله)، وقد تتركَّب الأداة مع الأداة، فيقال (ليتما)، وهذه الظاهرة تدعى (التركيب)، وليست بجديدة على الدرس اللغويّ، بل هي معروفة عند العلماء العرب منذ القديم[3]، فقد ذكر الخليل بن أحمد في حديثه على (حبَّذا) أنَّها فعل مركَّب من كلمَتَين، إذ قال: «حبَّذا حرفان حبَّ، وذا، فإذا وُصِلت، رُفِعت بهما، تقول حبَّذا زيد»[4]، وجاء في العين أنَّ «ليس حجود، قال الخليل معناها لا أيس، فطرحت الهمزة وأُلزقت اللام بالياء، ودليله قول العرب إئتنِ

(١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٠ -٧١.

(٢) ظ: فقه اللغات السامية: ١٥، تاريخ اللغات السامية: ١٥، فصول في فقه العربيَّة: ١٢.

(٣) ظ: النحت في العربيَّة واستخدامة في المصطلحات العلمية (د. محمد ضاري حمادي)، مقال، ١٩٨٠ م- مجلَّة المجمع العلمي العراقي، مج/ ٣١، ١٦٢ وما بعدها.

(٤) ترتيب كتاب العين (الخليل)، تح: د. مهدي المخزوميو د. إبراهيم السامرائي، تصحيح: أسعد الطيب: ١/ ٣٣٧/ حب.

به من حيث أيس وليس، ومعناه من حيث هو ولا هو»[1].

وقد أشار طه باقر إلى قول الخليل في معرض حديثه عن اشتقاق كلمة ليس، فقال: «ولكن الخليل بن أحمد الفراهيديّ وقع على حقيقة اشتقاقه من أنَّه فعل مركَّب من أداة النفي (لا)، و(ايس) التي تعنى (وجد) أي إنَّه (لا أيس)، فطُرِحت الهمزة، وأُلزقت اللام بالياء»[2].

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ ظاهرة النحت أو المزج التركيبيّ سمة بارزة في العربيَّة، إذ تنحتُ العربيَّة كلمَتَين أو أكثر؛ لتوليد كلمات ذات دلالات جديدة، وهذا يدلُّ على سعة العربيَّة وحيويَّتها في التوليد، وظاهرة النحت هذه ما هي إلَّا ضرب من «الاشتقاق سمِّي الاشتقاق الكبّار)، والمقصود به النحت، فمراعاة معنى الاشتقاق تجعل النحت نوعًا منه، والفرق بين النحت والاشتقاق كلمة واحدة من كلمَتَين أو أكثر، نحو: هذا رجل عبشميّ، أي منسوب إلى عبد شمس»[3].

(١) ترتيب كتاب العين: ٣/ ١٦٦٦، ليس.
(٢) من تراثنا اللغويّ القديم: ٢٢.
(٣) الصرف الواضح: ١١٨.

المبحث الثالث

اللغة السومريَّة

أ. أطوار الخطِّ المسماريّ السومريّ:

وجد الباحثون في حضارة وادي الرافدين قبل أكثر من مئة وخمسين عامًا، ومن بعد حلِّهم الخطّ المسماري[1]، أن مآثر تلك الحضارة العريقة لم تقتصر على اللغة البابليَّة فحسب، بل اكتشفوا إلى جانبها لغة أخرى أطلقوا عليها اللغة السومريَّة[2].

ومنذ ذلك الحين ما يزال التساؤل يُثار حول هذه اللغة والمتكلِّمين بها، حتَّى غدا هذا التساؤل يُعرَف لدى الباحثين بالقضيَّة السومريَّة، وهي قضية كثُر البحث والنقاش فيها، وبات حلُّها أمرًا صعبًا منذ زمن اكتشافها[3].

إنَّ معرفة الباحثين بهذه اللغة قد تـمَّ في مرحلة متأخِّرة نسبيًّا، فقد كان الرأي السائد حتَّى أواسط القرن التاسع عشر الميلاديّ أنَّ البابليِّين والآشوريِّين هم

(١) لمعرفة محاولات الباحثين في حلِّ رموز هذا الخط: ظ: قواعد اللغة السومريَّة: ١١-١٧، نشأة وتطوُّر الكتابة في بلاد وادي الرافدين وبلاد الشام حتَّى ظهور الإسلام (رسالة ماجستير)، (وصفي عبد ربَّه سليمان الشريفات) جامعة الموصل، كليَّة الآداب، ١٩٩٩: ١٦-٢٦.

(٢) يذكر طه باقر أنَّ الباحثين قد اختلفوا في تسمية هذه اللغة، فمنهم من أطلق عليها اللغة الأشكوزيَّة وسمَّاها بعضهم اللغة الأكديَّة، ولكنَّ التسمية الصحيحة التي اقتراحها الباحث (Oppert) سنة ١٨٦٩ هي اللغة السومريَّة. ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ١٢٧.

(٣) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٥٨-٥٩.

أوَّل الأقـوام العراقيَّـة القديمـة التـي اسـتخدمت الكتابـة المسـماريَّة، ودوَّنـت بهـا لغتهـا، وأنَّ النصـوص المسـماريَّة المكتَشَـفة في ذلك الوقت تشـمل نصوصًـا بابليَّة أو آشوريَّة[1].

لكنَّ بعض الباحثين الآثاريِّين لاحظوا في قراءتهم النصوص المسـماريَّة للغة البابليَّة أنَّ هـذه النصوص زاخرة بمفردات كثيرة تبدو غريبة عن اللغة البابليَّة، وهذه المفردات مدوَّنة أيضًا بالخطِّ المسماريّ[2]، ومن بعد دراسة هذه المفردات اللغويَّة وتحليلها في ضوء النصوص المسـماريَّة المكتشـفة في بلاد بابل وآشـور، تبيَّن أنَّ هنالـك أقوامًا أخرى غير الأقـوام البابليَّة والآشـوريَّة كان لها الدور الفاعـل في بناء الحضـارة العراقيَّة القديمة، وإليهـا يعود الفضل في ابتكار الكتابة المسـماريَّة[3]؛ لذا أعلن الباحث الأثري (هنكس) سنة (١٨٥٠م) أنَّ الأكديِّين ليسوا أوَّل من ابتكر هذا الخطّ، وراح يقدِّم أدلَّته على ذلك، منهـا أنَّ اللغـة الأكديَّة لا تعني بتأدية أصـوات العلَّة بعلامات خاصَّـة، بل إنَّ العنصر الأساسيّ في كتابة مفرداتها هو الحروف الصحيحة[4]، وفضلًا عن أنَّ العلامات المسماريَّة لا تفـرِّق تفريقًـا دقيقًا بين الأصـوات الحنكيَّة الليِّنـة والصلبة والنطعيَّـة، على حين أنَّ أصوات اللغة الأكديَّة تميِّز بين هذه الأصوات، وكان من المتوقَّع أن تعبِّر الكتابة المسماريَّة عن أصوات لغة الأقوام التي ابتكرتها تعبيرًا ينماز بالدقَّة؛ لذلك لم يكن البابليُّون مبتكري الكتابة المسـماريَّة[5]، ويؤيِّد طه باقر ذلك، ويزيد عليه أنَّه لو كان البابليُّون والآشوريُّون هـم من ابتدع ذلـك الخطّ؛ لظهرت المفردات الجزريَّة في قيم المقاطع المسـماريَّة الصوتيَّة

(١) ظ: اللغة الأكديَّة: ٢٩.
(٢) ظ: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ١٢٦، اللغة الأكديَّة: ٢٩.
(٣) ظ: اللغة الأكديَّة: ٢٩، الكتابة المسماريَّة ومدى ملاءمتها كتابة اللغة الأكديَّة، بحث (د. يوسف متا فوزي) ضمن كتاب: الصلات المشتركة بين أبجديَّات الوطن العربيّ القديمة: ٥٧.
(٤) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ١٢٦.
(٥) ظ: اللغة الأكديَّة: ٢٩.

التي ترجع أصواتها إلى مفردات ليست بجزريَّة على وجه الإطلاق[١]؛ لذا أصبح وجود السومريِّين ولغتهم وخطّهم من الحقائق الثابته التي لا مجال لإنكارها[٢]؛ أو عزو ما ابتكروه لغيرهم من الأقوام[٣].

وخلاصة ما يُقال عن السومريِّين ما ذكره طه باقر من أنَّهم أقوام ليسوا جزريِّين، وقد تحدَّروا من الأقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ، وعرفوا باسمهم الخاص (السومريِّين)؛ نسبة إلى الجزء الخاص من العراق الذي تمركزوا فيه، وهو القسم الجنوبيّ الذي سمِّي باسم (سومر) أو (شومر)، وهذه التسمية لاحقة للاستيطان، ولا تحمل مدلولًا قوميًّا، بل مشتقَّة من اسم الموضع الجغرافي الذي استوطنوا فيه[٤]، أمَّا لغتهم فهي أقدم لغة في حضارة وادي الرافدين، دُوِّنت بالخطِّ المسماريّ في المراحل الأولى التي تلت ظهور هذا الخطّ في الدور الأخير من عصر الوركاء، في حدود سنة ٣٥٠٠ق.م[٥].

وقد أكَّد طه باقر أنَّ الخطَّ المسماريّ من اختراع السومريِّين، وهم أقدم وسيلة للتدوين عرفها التاريخ، وقد سمِّي بهذا الاسم؛ لأنَّ شكله كان يشبه المسامير أو الأسافين، أي إنَّ العلامات الكتابيَّة تنتهي رؤوسها بما يُشبه

(١) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ١٢٦.

(٢) لقد أنكر العالم اليهودي جوزيف هاليفي وجود الشعب السومريّ ولغته، وتابعه في ذلك بعض علماء الآشوريَّات، لكن هذا الرأي اتَّضح بالأدلَّة خطأه، وبُعده عن الواقع، ظ: اللغة الأكديَّة: ٣٠.

(٣) كما ذهب الدكتور أحمد سوسة الذي تحمَّس إلى عزو الخطِّ السومري للساميِّين (الأكديِّين). ظ: حضارة وادي الرافدين بين الساميِّين والسومريِّين: ٤٢-٤٣.

(٤) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٨٩-٩٠، حضارة وادي الرافدين بين الساميِّين والسومريِّين: ٣٥.

(٥) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦١.

المسـامير[١]، وهذا الخطّ يبدأ من اليسـار، وينتهي عند اليمين[٢]. وقد مرَّ الخطّ المسماريّ خلال مسيرة حياته بثلاث مراحل تطوُّريَّة متميِّزة، هي:

١. **الطـور الصـوريّ (Pictographic)**: كان الخـطُّ المسـماريّ في هذا الطور عبارة عن رمـوز صوريَّة خالصة[٣]، ولم تدوَّن فيه إلَّا الأشـياء الماديَّة، ويقول طه باقر ذاكرًا هذا النوع من الكتابة: «ولم يدَّون بها في مبدأ الأمر سـوى أشـياء ماديَّـة، أي صـور الأشـياء المـراد تدوينها»[٤]، فـكلُّ علامة مسـماريَّة في هذا الطـور تمثِّل صورة الشيء المـراد كتابته، وكلُّ صورة تمثِّل كلمـة بحدِّ ذاتها[٥]، فإذا أُريد التعبير مثلًا عن السـمكة أو الثور أو المحراث، تُرسَـم صور تقريبيَّة لهذه الأشـياء، وقد يُرسَم جزء منها فقط، كرسـم رأس ثور، أو رأس أنسان؛ لغرض الاختصار[٦]، وقد تكون العلاَّمة الصوريَّة لا علاقة لها بشـكل الشيء المراد كتابته، كالصورة المعبِّرة عن الخروف، إذ رُسِمت بشكل دائرة في وسطها خطَّـان متعامدان[٧]، وهذا النوع من الكتابة عبَّرت عنه الألواح الصوريَّة من الطبقة الرابعة من الوركاء[٨]، وقد كانت العلامات المعبِّـرة عن الأشياء الماديَّة

(١) ظ: التدويـن التاريخيّ، بداياته وإسـهام تراثنـا الحضاريّ في تطويره (أ. طـه باقر)، مقال، مجلَّة المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٨٠، مج٣١: ١/ ١٠٩.

(٢) قواعد اللغة السومريَّة: ١٩.

(٣) ظ: من الواح سومر (صموئيل نوح كريمر)، ترجمة: طه باقر: ٢٤.

(٤) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ٢/ ٨٢- ٨٣.

(٥) ظ: المعجم المسـماريّ (د. نائل حنُّون): ١/ ١٨، الكتابة المسـماريَّة وعلاقتها بالحروف الهجائيَّة القديمة الفينيقيَّة والإغريقيَّة واللاتينيَّة (د. خالد الأعظميّ) ضمن كتاب: الصلات المشتركة بين أبجديَّات الوطن العربيّ القديمة: ٢٩.

(٦) ظ: اللغة الأكديَّة: ١١٩

(٧) ظ: قواعد اللغة السومريَّة: ١٨.

(٨) ظ: اللغة الأكديَّة: ١١٩.

في بداية استخدامها كثيرة ومعقَّدة، إلَّا أنَّه بمرور الزمن تمَّ اختزال الأعداد الكثيرة لهذه العلامات الصوريَّة وتيسيرها، وذكر طه باقر أنَّ أعداد العلامات المسماريَّة الذي بلغ زهاء (٢٠٠٠) علامة في الدور الرابع من عصر الوركاء، اختصر إلى نحو (٨٠٠) علامة في أواخر عصر فجر السلالات الثاني، فالعلامات المعبِّرة عن الغنم (udu) تمَّ اختزالها من (٣١) علامة في دور الوركاء، إلى ثلاث علامات، ثمَّ إلى علامَتَين في الأدوار التالية[١].

٢. **الطور الرمزيّ (Ideographic)**: يبدو أنَّ طريقة الكتابة الصوريَّة لا يمكن التعبير بها عمَّا يجول في الخاطر من أفكار، وما يُرغَب في قوله من أحداث وأخبار؛ وهذا ما دفع الكتبة القدماء إلى إيجاد طريقة للكتابة أفضل من سابقتها، وبالفعل قد اهتدوا إلى طريقة تمكَّنوا بواسطتها من تدوين الأفكار والأشياء المعنويَّة، وهذه الطريقة سمِّيت الطريقة الرمزيَّة[٢]، قال طه باقر: «والفرق بين الطريقة الصوريَّة والطريقة الرمزيَّة أنَّ في الطريقة الأولى تمثِّل الصورة نفس الشيء[٣] المراد التعبير عنه، ولكنَّ الصورة في الطريقة الثانية تمثِّل فكرة لا شيئًا ماديًّا، فمثلًا صورة إنسان بأضلاع بارزة تعبِّر عن فكرة الجوع، أو صورة عين دامعة تعبِّر عن فكرة الحزن»[٤].

فالعلَّامة الصوريَّة في هذه المرحلة غدت تُستعمَل للتعبير عن المعاني والأفعال التي يرمز إليها ذلك الشكل الصوريّ، إلى جانب دلالته الصوريَّة، فمثلًا أصبحت العلَّامة التي كانت تُستعمل للدلالة على الشمس، وهي رسم قرص

(١) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٢٤٢- ٢٤٣.

(٢) ظ: اللغة الأكديَّة: ١٢٢-١٢٣.

(٣) الصواب: الشيء نفسه.

(٤) أصل الحروف الهجائيَّة وانتشارها (أ.طه باقر) سومر، ١٩٤٥، مج١: ٢/ ٤١.

الشمس، أخذت تعبِّر عن معانٍ كثيرة ترتبط بالشمس، ولا يمكن رسمها كلامع وساطع ومشرق واليوم والنهار والشروق والغروب وغيرها[1]، واستُخدمت أيضًا طريقة دمج علامَتَين أو أكثر لشيئَين ماديَّين للدلالة على أفعال معيَّنة، من مثل دمج العلَّامة الدالَّة على الفم، والعلَّامة الدالة على الماء، للدلالة على فعل الشُّرب[2].

٣. **الطور المقطعيّ أو الصوتيّ (Phonetic)**: يبدو أنَّه مع التطوُّر الكبير الذي طرأ على أسلوب الكتابة باستخدام الطريقة الرمزيَّة إلى جانب الطريقة الصوريَّة، ظلَّت الكتابة عاجزة في التعبير عن لغة الكلام تعبيرًا دقيقًا، إذ لا يمكن بوساطتها كتابة كثير من المفردات اللغويَّة، كأسماء الأعلام، والأدوات النحويَّة، وبيان الاختلافات بين الصيغ الفعليَّة، وكتابة جمل كاملة تتَّضح فيها علاقة كلِّ كلمة بالأخرى، وغير ذلك، فكان أن اختُرِعت الطريقة الصوتيَّة؛ لتلافي تلك المعوقات[3]. وقد أشار طه باقر إلى هذا الطور الكتابيّ، وسمَّاه الدور الانتقاليّ الكتابيّ المختلط، وقال: «ويميِّز هذا الدور باستمرار استعمال الرموز (Ideography)، مع زيادة رموز أخرى ذوات دلالة صوتيَّة، كلٌّ منها يؤلِّف مقطعًا»[4]، وذكر أنَّ ما يستعمل في هذه الطريقة هو القيمة الصوتيَّة للعلامة المساريَّة أو لفظها، حتَّى تتكوَّن كلمة يشكِّل ذلك الصوت جزءًا منها، وهكذا فإنَّ مجموعة من المقاطع تتكوَّن

(١) ظ: الخطُّ المساريّ واللغة الأكديَّة (د. فاضل عبد الواحد عليّ)، مجلَّة بين النهرين، ١٩٨١، العدد٣٦: ٣١٣.

(٢) ظ: قواعد اللغة السومريَّة: ٢٠.

(٣) ظ: اللغة الأكديَّة: ١٢٤.

(٤) أصل الحروف الهجائيَّة وانتشارها: ٤٢.

بجمع قيمتها الصوتيَّة معًا كلمة معيَّنة أو جملة لا يمكن التعبير عنها برسم شيء مادِّيّ بحسب الطريقة الصوريَّة أو الرمزيَّة[1]، وممَّا يمثِّل الطريقة الصوتيَّة ما ورد في ألواح جمدة نصر، إذ استُخدمت العلَّامة الصورية «لتدلَّ على كلمة (سهم)، وكانت تلفظ باللغة السومريَّة (تي-Ti)، علمًا أنَّ كلمة (حياة) أو الفعل (يعيش أو يحيا) في السومريَّة تلفظ (تي-Ti) أيضًا؛ لذا فقد استخدم الكاتب السومريّ العلَّامة نفسها للإشارة إلى (الحياة) أو الفعل (يعيش)؛ لأنَّ القيمة الصوتيَّة لهذه العلَّامة مشابهة لطريقة لفظ كلمة (الحياة)[2]، وهذا يدلُّ على أنَّ الكَتَبة السومريِّين قد أخذوا من صورة السهم الصوت فقط، بغضِّ النظر عمَّا ترمز إليه الصورة؛ ليعبِّروا عن كلمة (حياة).

والطريفة أنَّ الكاتب السومريّ عندما كتب اسم إله الحياة أنليل (Enlil)، قفَّاه بالعلَّامة (تي) (سهم)، لكن هذا لا يعني أنَّه كان يقصد القول: أنليل+ سهم، بل كان مراده أن يقول: (أنليل يهب الحياة)، أو (أنليل يُحيي)، وهذا يُشير إلى أنَّ الكاتب قد استفاد من القيمة الصوتيَّة للعلامة (تي) لا معناها؛ وهكذا أصبحت العلَّامة تمثِّل مقطعًا صوتيًّا يُستخدم في كتابة أيِّ كلمة يدخل في تركيبها المقطع (تي)، سواء أكان أسم علم، أم كان صيغة فعليَّة، أم غيرها، والحال نفسه في بقيَّة العلامات[3].

وبذلك غدت الطريقة الصوتيَّة أشبه بالطريقة الأبجديَّة في الكتابة، إلَّا أنَّها استخدمت بدلًا من الحروف المجرَّدة، مقاطع صوتيَّة كاملة لتدوين أسماء

(١) ظ: أصل الحروف الهجائيَّة وانتشارها: ٤١-٤٢، المعجم المسماريّ: ١/ ٢٥.
(٢) ظ: قواعد اللغة السومريَّة: ٢١، اللغة الأكديَّة ١٢٤-١٢٥.
(٣) ظ: اللغة الأكديَّة: ١٢٥.

الأعـلام والأدوات النحويَّـة[1]، وانتشرت هـذه الطريقة مـن الكتابة خلال العـصر البابـليّ القديم، إذ دُوِّن بها كثير من النصوص الأدبيَّة ولاسـيما المؤلَّفة بلهجة النساء (eme-sal)[2].

ب. خصائص اللغة السومريَّة:

لاحـظ الباحثـون المشـتغلون في اللغة والآثار مـن بعد دراسـتهم لنصوص اللغة السـومريَّة، وتحليل نصوصها، أنَّها لغة منفردة، إذ لا تنتمـي إلى أسرة لغويَّة معروفة[3]، وكلُّ مـا قيل في ذلك مجرَّد افتراض، أمَّا طه باقر فقد ذَكَر أنَّ «أقرب فرضيَّة لتعليل تفرُّد اللغة السـومريَّة أنَّها من عائلة لغويَّة قديمة انقرضت في أزمان بعيدة من عصور ما قبل التاريخ، ولم يبقَ من أفرادها سوى اللغة السومريَّة التي تكلَّم بها السومريُّون في حضارة وادي الرافدين، وكانت أقدم اللغات المدوَّنة في هذه الحضارة»[4].

ومن خصائص اللغة السومريَّة أنَّها من النموذج الملصق[5]، وقد فسَّر طه باقر وجود هـذه الصفة فيهـا قائلًا: «إنَّه يمكن وصفها بأنَّها من نـوع اللغات الملصقة، ومن مظاهر الإلصـاق فيها، أنَّها تجمـع أو تربط الجمـل الفعليَّة بطريقة إلصـاق الضمائر والأدوات الدالَّـة على الزمن، إلى جذر الفعل، في أوَّل هذه الجمل، وفي وسـطها، وآخرها، بحيث

(١) ظ: نشأة وتطوُّر الكتابة في وادي الرفدين وبلاد الشام حتَّى ظهور الإسلام: ٣٥.

(٢) ظ: قواعـد اللغة السـومريَّة: ٢١، وهذه اللهجـة (eme-sal)، أُطلق عليهـا في للغة الأكديَّة مصطلح (لغة العراك) (eme-sal) (لِشـان صِليت)، وظهرت في أوائـل العهد البابليّ القديم (٢٠٠٠-١٦٠٠ق.م)، وتُسـتخدَم عند الحديث على النسـاء في النصوص الأدبيَّة، ثمَّ أصبحت لغـة الكتابات الأدبيَّة في مرحلة ما بعـد العهد البابليّ القديـم (١٦٠٠-١٠٠٠ق.م)، ظ: اللغة الأكديَّة: ٣٦، المعجم المسماريّ: ١/ ٨٩-٩٠.

(٣) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦٠-٦١، علم اللغة العربيَّة: ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٦٢.

(٥) ظ: الكلام الخاص بصنف اللغة الملصقة من هذا الفصل: ٢٢-٢٣.

تصبح الجملة الفعليَّة وكأنَّها كلمة مركَّبة واحدة، كما أنَّها تلصق الأدوات النحويَّة، مثل الأدوات المعبِّرة عن الجرِّ والإضافة والجمع والفاعليَّة إلى آخر الاسم»[1]. وبمعنى آخر: إنَّ كلّ فكرة أساسيَّة سواء أكانت اسميَّة أم فعليَّة يعبَّر عنها بمقطع واحد أو أكثر غير قابل للصرف، إلَّا أنَّ ما يجعله مناسبًا لأداء الدور المراد منه أداؤه هو اللواصق[2]، وفيما يأتي أمثلة توضِّح هذه المعاني، مع ما يُزاد على الرمز المقطعيّ من أدوات لغويَّة[3].

- كلمة (رجل) بكلِّ حالاتها الإعرابيَّة: لو٢، رجولة: نام – لو٢.
- وكلمة (بشريَّة): نام – لو٢ – لو٢.
- هذا الرجل، ذلك الرجل: لو٢ – ني – ر –.
- إنَّه رجل فعلًا: لو٢ – أم٣.
- رجل (في حالة الفاعل لفعل متعدٍّ): لو٢ (–أي).
- رجل (في حالة المفعول به الثاني): لو٢ – ر١.

(١) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦١.

(٢) ظ: المعجم المسماريّ: ١/ ٩١.

(٣) ظ: المصدر نفسه: ١/ ٩١–٩٢. أظنُّ أنَّ بالقارئ حاجة إلى تعرُّف المراد من هذه الأرقام الموجودة على الرموز والمقاطع المسماريَّة، فقد وقف الدكتور نائل حنُّون عند ذلك في حديثه عن ظاهرة تجانس الألفاظ في اللغة السومريَّة، فقال: «يعني تجانس الألفاظ وجود عدَّة مقاطع مختلفة الرسم والمدلول، ولكن متطابقة اللفظ، فمثلًا المقطع (دو) يعني باللغة السومريَّة (أساس)، ولكن كلمة (تل) في اللغة السومريَّة تعني (ملح) أيضًا، ولها علامة مسماريَّة أخرى، وفي الحقيقة توجد ثلاث وعشرون كلمة سومريَّة باللفظ نفسه (دو)، وبثلاث وعشرين علامة مسماريَّة، ولحلِّ هذا الإشكال لجأ علماء المسماريَّات المحدثون إلى وضع أرقام متسلسلة لهذه العلامات (دو١، دو٢، دو٣، دو٤..الخ)، المصدر نفسه.

- رجل (في حالة المعطوف عليه): لو٢ – د١.
- كرجل: لو٢ – كم.

وهكذا الحال بالنسبة للأفعال، فالفعل في اللغة السومريَّة له جذر واحد غير قابل للصرَّف أو الاشتقاق، لكن الأدوات اللغويَّة التي تسبقة أو تُلحَق به، تصل به إلى المعنى المراد التعبير عنه[١]، ومكان الفعل في اللغة السومريَّة يكون في آخر الجملة، وهذه خصيصة من خصائصها[٢].

ومن خصائص اللغة السومريَّة التي ذكرها طه باقر أيضًا أنَّ معظم مفرداتها يتألَّف من مقطع واحد (حرف صحيح + حرف علَّة) مثل: (ka – كا) (فم)، (lu – لو) (رجل)، أو (حرف علة + حرف صحيح) مثل (An– ان) (سماء)، أو من (حرفين صحيحين بينهما حرف علَّة) مثل: (Cal – كَال) (عظيم)، (sar – سار) (كتب)، أمَّا بعض الكلمات التي يكون قوامها أكثر من مقطع، فهي ناتجة عن اللصق مثل: (ki – An) التي تعني (الكون)، فهي مكوَّنة من كلمة (ان – سماء)، وكلمة (كي – أرض)[٣]، وقد تكون الكلمة ثلاثيَّة مكوَّنة من حرفَي علَّة بينهما حرف صحيح، مثل (اور، اكي)[٤].

(١) ظ: المعجم المساريّ: ١/ ٩٢. تجدر الإشارة إلى أنَّ ما يوضع بين قوسَين من مقاطع، هو ما لا يُلفظ، ويسقط أو يُدمج مع الحرف الأوَّل من المقطع التالي له لتكوين مقطع جديد.

(٢) ظ: الفصل الأوَّل من الرسالة: ٣٩.

(٣) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦١، تاريخ العراق القديم: ١/ ٥٧.

(٤) ظ: المعجم المساريّ: ١/ ٢٥، تجدر الإشارة إلى أنَّ اللغة العربيَّة لا تبدأ بحرف ساكن، لكن ذلك جائز في غيرها، كما في السومريَّة (اور، اكي)، وفي السريانيَّة مثلًا للفعل (سقق)، ومعناه ملأ، و(شجر) ومعناه أفرغ. ظ: التضاد في ضوء اللغات الساميَّة دراسة مقارنة (د. ربحي كمال): ٥٤.

وتنماز اللغة السومريَّة أيضًا بعدم التلفُّظ بالحرف الصحيح الأخير، إلَّا إذا ولي هذا الحرف الصحيح معه ويُلفظان معًا، ففي عبارة (ملك أور) التي يعبَّر عنها في السومريَّة بـ(Lugal-urim-AK)، فيكون لفظ هذه العبارة وكتابتها على النحو الآتي: (Lugal-uri-am)[1]، فنجد الحرف الصحيح (M) في نهاية الكلمة الثانية قد تمَّ لصقة بحرف العلَّة الذي يتصدَّر أداة الإضافة (ak)، ونلاحظ أيضًا سقوط الحرف الصحيح (K) من أداة الإضافة (ak)؛ لعدم مجيء حرف علَّة بعده.

أمَّا الخصائص التي انمازت بها اللغة السومريَّة، ولم يُشِر إليها طه باقر، فنذكر منها: إنَّ الاسم فيها خالٍ من علامات الإعراب[2]، ولا هي تفرِّق بين الاسم المذكور والاسم المؤنَّث، وإنَّما الأسماء فيها معدومة الجنس، فهي لا تقسَّم على أساس المؤنَّث والمذكَّر، وإنما على أساس العاقل (Animate)، وغير العاقل (Inanimate)[3]، أمَّا العدد فليس فيها سوى المفرد والجمع، وقد يكرَّر الجذر للإشارة إلى الجمع، مثل كلمة (كور) تعني (جبل)، فإذا تكرَّرت (كور - كور) تُصبح (جبال)، أو قد تُزاد أداة نحويَّة خاصَّة بالجمع[4]، والفعل في اللغة السومريَّة نوعان، مجرَّد ومركَّب، ويكون على ثلاثة أنواع: متعدٍّ، ولازم، ومبني للمجهول، وله زمانان، ماضٍ ومضارع، أمَّا الصفات في اللغة السومريَّة فهي قليلة، وغالبًا ما يُستعاض عنها بتعابير في حالة الإضافة، وقلَّما تستعمل أدوات العطف أو الروابط، بل توضع الكلمات بعضها إلى جانب بعض من دون ربط[5].

(١) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٦١-٦٢، تاريخ العراق القديم: ١/ ٥٨.

(٢) ظ: الصلات المبادلة بين السومريَّة والأكديَّة (بحث) (د. فاضل عبد الواحد عليّ) ضمن كتاب: الصلات المشتركة بين أبجديَّات الوطن العربيّ القديمة: ١٤.

(٣) ظ: المصدر نفسه: ١٤، اللغة الأكديَّة: ٣٢.

(٤) ظ: اللغة الأكديَّة: ٣٢، وعن طرق الجمع في اللغة السومريَّة، ظ: المعجم المساريّ: ١/ ٩٥.

(٥) ظ: اللغة الأكديَّة: ٣٢.

المبحث الرابع

الفراتيُّون الأوائل

كان الاعتقاد السائد بين الباحثين أنَّ السومريِّين أوَّل من سكن أرض جنوبي العراق، وأنَّ لغتهم كانت أوَّل لغة مستعملة في تلك المنطقة، ما دامت هي أوَّل لغة مدوَّنة[1]، بيد أنَّ البحَّاثة الآثاريّ (لاندز برجر) عارض هذا الاعتقاد، وجاء برأي جديد، وخلاصة ما جاء به أنَّ هنالك أقوامًا سبقت السومريِّين في الاستيطان في جنوبي العراق، إلَّا أنَّ هويَّتهم العرقيَّة ما تزال مجهولة، وهم ليسوا سومريِّين ولا أكديِّين[2]، وقد اصطلح هذا الباحث على تسميتهم بـ(الفراتيِّين الأوائل)؛ نسبةً إلى المكان الذي استوطنوا فيه، وهو أرض الفرات[3].

وقد ذكر طه باقر أنَّ جلَّ ما استند إليه هذا العالم في نظريَّته هو دراسة الآثار الماديَّة التي خلَّفها أهل دور العبيد وتحليلها، فسمَّاهم (الفراتيُّون الأوائل)، فهو يرى أنَّهم كانوا في الأصل سكَّان دور العبيد، لكن لغتهم ماتت، ولم يبقَ منها إلَّا آثار قليلة، لكنَّها مع قلَّتها لها جانب عظيم من الأهميَّة، وهذه الآثار اللغويَّة دخلت إلى اللغتَين السومريَّة والأكديَّة، وهي تمثِّل أسماء مدن تاريخيَّة وأنهار ومهن وحِرَف حضاريَّة، ووصل أثرها

(١) ظ: مقدِّمة في أدب العراق القديم (أ.طه باقر): ٣٧، اللغة الأكديَّة: ٢٣.

(٢) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٧، اللغة الأكديَّة: ٢٣.

(٣) ظ: ما يسمَّى بالدخيل أو الأعجميّ في المعجمات العربيَّة، بحث (أ. طه باقر) مجلَّة كليَّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٩م، العدد٢٤: ٥١٣.

إلى اللغة العربيَّة[١]، ومن هذه المفردات التي خلَّفوها في تلك اللغات[٢]:

الكلمة في النصوص المسماريَّة	ما يقابلها في العربيَّة
انكَار – Engar	فلَّاح
آب – Apin	محراث
بخار – puhar	فخار
سولومب – Sulumb	تمر
اريدو – Eridu	أريدو (أبو شهرين)
أوروك – Uruk	الوركاء
تبرا – Tibira	نحاس

إنَّ هذه الفرضيَّة التي جاء بها (لاندز برجر) لا تخلو من نقد، فقد اعترض عليها غير واحد من الباحثين، إذ يرى البحَّاثة (أوبنهايم) أنَّ هذه المفردات التي افترض (لاندز برجر) أنَّها تعود إلى سكَّان دور العبيد (الفراتيِّين الأوائل)، إنَّما هي في الحقيقة ترجع إلى جماعة من الأقوام تتكلَّم بلهجة جزريَّة قديمة كانت سائدة قبل اللغتَين: السومريَّة والأكديَّة[٣].

أمَّا طه باقر، فقد ارتأى أنَّ سكَّان طور العبيد إنَّما هم من أصل سومريّ، إذ قال: «إنَّ أسس الحضارة التي سمَّيناها بالحضارة السومريَّة، والتي ازدهرت في عصر فجر السلالات، ممَّا يكون استمرارًا حضاريًّا، أي إنَّ أصول الحضارات السومريَّة نشأت

(١) ظ: رواسب لغوية قديمة في تراثنا اللغويّ: ١٨، اللغة الأكديَّة: ٢٣.
(٢) ظ: مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١/ ٧٧، اللغة الأكديَّة: ٢٤.
(٣) ظ: اللغة الأكديَّة: ٢٨.

في العـراق، ويمكـن تتبُّع أسسـها وأصولهـا فيه منذ أقـدم الأزمان؛ فبإمكاننـا مثلًا أن نعـدَّ أهل طـور العبيد من السـومريِّين قياسًـا عـلى ظهور أبـرز مقوِّمـات الحضارات السـومريَّة فيـه، كالمعابد والقـرى، على الرغم من أنَّنـا نجهل اللغة التـي تكلَّم بها أهل العبيد»[1].

أمَّـا الدكتـور فاضل عبد الواحـد، فقد ذكر أنَّ تلـك المفردات التـي اعتمد عليها (لانـدز رجـر) في دراسـته ترجـع إلى أصـل سـومريّ أو أكـديّ، وفضلًا عـن ذلك، فـإنَّ قراءتـه لبعـض التسـميات والمفـردات التـي اعتمـد عليهـا في فرضيَّتـه لم تكـن دقيقة[2].

والراجـح أنَّ تلك الفرضية التي قدمها (لاندز برجـر) مقبولة من وجوه عدَّة، فما ذكـر حولهـا من ردود لا ينهـض دليلًا على ردِّها؛ فما ذكـره البحَّاثـة (أوبنهايم) إنَّما هو حجَّة عليه وليس له، فحين أُرجع تلك المفردات التي قدَّمها (لاندز برجر) إلى لغة أقوام جزريِّين كانت سـائدة قبل اللغتَين السومريَّة والأكديَّة، فهو بذلك يقوِّي فرضيَّة وجود الفراتيِّين الأوائل؛ لأنَّهم عاشوا في الجزيرة العربيَّة، ولاسيما منطقة الفرات التي صارت اسمًا لهم، وفضلًا على ذلك سِبقهم للسومريِّين والأكديِّين في الاستيطان في تلك المنطقة، وهذا ما ينطبق على الفراتيِّين الأوائل.

أمَّـا ما ذكـره طه باقر، فقد عَدَل عنه بحسـب ما اسـتجدَّ من كشـوف وآثار تعود لأولئك الأقوام، وهذه سـمة انماز بها طه باقر، فهو يذكر أنَّه إذا ما اسـتجدَّ جديد، غيَّر رأيـه، وأعاد كتابة أفـكاره، فقد أصَّل كلمات كثـيرة وأرجعها إلى لغـة أولئك الأقوام، ومـا اقترحه الدكتور فاضل عبد الواحد عليّ بإرجاع تلك المفردات إلى اللغة السـومريَّة

(١) مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢-١٩٥٥: ١/ ٩٠.

(٢) ظ: من ألواح سومر إلى التوراة (د. فاضل عبد الواحد): ٣٦-٣٨.

واللغــة الأكديَّة، فهو مردود أيضًا؛ لأنَّ أغلب المفردات التي تعود إلى الفراتيِّين الأوائل إنَّــما هي في الواقع كلمات مشــتقَّة، على حين أنَّ اللغة الســومريَّة لغــة ملصقة، لا تعرف الاشــتقاق؛ لذا أصبح وجود أولئــك الأقوام ولغتهم من الأمور الثابتة، وربَّما ستُســفر الكشوف الآثاريَّة عن مآثر جديدة لهم.

نتائج البحث

بعـد عرض جهود العلَّامة الحِـلِّيّ طه باقر في التصنيف اللغـويّ، يمكن إيجاز أبرز النتائج التي توصَّل إليها البحث، بما يأتي:

١. حـرص العلَّامـة الحـلي طـه باقر كثـيرًا على سـدّ الثغـرات التي عانـت منها الدراسات اللغويّة التاريخية المقارنة بإظهاره أعجب المبتكرات الإنسانية ذات الجذور الحضارية من أعماق التاريخ وصولًا إلى أبرز مزايا العربيَّة.

٢. عدَّ العلَّامة طه باقر نظريَّة (شليجل) أقرب النظريات إلى منطق اللغة وروحها مـن غيرها في التصنيف اللغويّ لأنها نظرت إليهـا من حيث القوانين المتعلقة بعلمي الـصرف والنحو وبذلك تتم عملية المفاضلة بـين اللغات من قابليتها على الاشتقاق والتصريف.

٣. لم يُبنَ مصطلح (اللغات السـاميَّة) على أسـاس علميّ، وكذلك تسمية أهلها بالسـاميِّين، لذلك أقترح أن تسـمَّى هـذه اللغات بـ(اللغـات الجزيريَّة)، وأن يسمَّى أهلها بـ(الجزريِّين).

روافد البحث

أوَّلًا: الكتب المطبوعة

- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربيَّة، د. رشيد عبد الرحمن العبيديّ، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨م.
- الأدب الجاهليّ بين لهجات القبائل واللغة الموحَّدة، د. هاشم الطعَّان، دار الحريَّة للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
- الأصوات اللغويَّة. د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنكلو المصريَّة، ط٤ (د.ت).
- بلاد الرافدين، الكتابة- العقل- الآلهة، ترجمة الأب ألبير أبونا، مراجعة د. وليد الجادر، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ط١، ١٩٩٠م.
- تاريخ العراق القديم، أ. طه باقر، ود. فاضل عبد الواحد عليّ، ود. عامر سليماني، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م.
- تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد عليّ، مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٩٥٢م.
- تاريخ اللغات الساميَّة، إسرائيل ولفنسون. دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

- ترتيب كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ) تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، و د. إبراهيم السامرَّائيّ، تصحيح الأستاذ أسعد الطيِّب، مطبعة باقري، قم، إيران، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- التطوُّر النحويّ للغة العربيَّة، برحشتراسر، أخرجه وصحَّحه وعلَّق عليه د. رمضان عبد التوَّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- الحضارات الساميَّة القديمة، سبتينو موسكاتي، ترجمة د. السيِّد يعقوب بكر، مراجعة: د. محمَّد القصَّاص، دار الكتاب العربيّ للطباعة والنشر بالقاهرة (د.ت).
- حضارة وادي الرافدين بين الساميِّين والسومريِّين، د. أحمد سوسة، دار الحريَّة للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
- دراسات في فقه العربيَّة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٧٨م.
- دراسات في فقه اللغة العربيَّة، د. السيِّد يعقوب بكر، مطبعة المطبعة، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م.
- دلالة اللواصق التصريفيَّة في اللغة العربيَّة، أشواق محمَّد النجَّار، دار دجلة، عمَّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال بشر، دار غريب للطباعة، والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٢، ١٩٩٧م.

- الـصرف الواضح، د. عبد الجبَّـار علوان النايلة، مديريَّـة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الصِّلات المشتركة بين أبجديَّات الوطن العربيّ القديمة، ط١، بغداد، ٢٠٠٢م.
- علـم اللغـة، د. عليّ عبـد الواحـد وافي، مكتبة نهضـة مـصر بالفجالة، ط٤، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
- علم اللغة العام، فردنيان دي سوسـير، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د. مالك يوسف المطَّلبي، بيت الموصل، ط٢، ١٩٨٨م.
- علـم اللغة العربيَّة، مدخل تاريخيّ مقارن في ضوء التراث واللغات السـاميَّة، د. محمـود فهمـي حجـازي، دار غريب للطباعـة والنشر والتوزيـع، القاهرة (د.ت).
- فصـول في فقه العربيَّـة، د. رمضان عبد التـوَّاب، مكتبة الخانجـي بالقاهرة، مطبعة المدنيّ، المؤسَّسة السعودية بمصر، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- فقه العربيَّة المقارن، دراسـات في أصوات العربيَّة وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السـاميَّة، د. رمزي منير بعلبكِّي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- فقه اللغات الساميَّة، كارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التوَّاب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- فقـه اللغـة العربيَّـة.د. علي عبـد الواحد وافي، نهضـة مصر للطباعـة والنشر والتوزيع، مصر، ط٣، ٢٠٠٤م.

- فقه اللغة العربيَّة، د. كاصد الزيديّ، مديريَّة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- فقه اللغة المقارَن، د. إبراهيم السامرَّائيّ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م.
- الفلسفة اللغويَّة والالفاظ العربيَّة، جرجي زيدان، مراجعة وتعليق د. مراد كامل، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- في اللهجات العربيَّة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنكلو المصريَّة، مطبعة أبناء وهبه حسَّان، مصر، ١٩٦٥م.
- قواعد اللغة السومريَّة، د. فوزي رشيد، بغداد، ١٩٧٣م.
- الكنز في قواعد اللغة العبريَّة، محمَّد بدر، المطبعة التجاريَّة الكبرى بعابدين، مصر (د.ت).
- اللاساميَّة في الفكر الصهيونيّ، الجذور التاريخيَّة والأهداف، عبد الوهاب محمَّد الجبوريّ، دار الحريَّة للطباعة، بغداد، منشورات دار الجاحظ للنشر، الموسوعة الصغيرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- اللغات الساميَّة تخطيط عام للمستشرق الألمانيّ الكبير تيودور نولدكه، ترجمة د. رمضان عبد التوَّاب، المطبعة الكماليَّة، القاهرة، ١٩٦٣م.
- اللغة الأكديَّة (البابليَّة والآشوريَّة) تاريخها وتدوينها وقواعدها، د. عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، شارع ابن الأثير، الموصل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

- اللغة العبريَّة وآدابها، د. محمَّد التونجي، مطبعة جامعة عين شمس، مصر، ١٩٧٤م.
- مدخل إلى تاريخ اللغات الجزريَّة، د. سامي سعيد الأحمد، منشورات اتحاد المؤرِّخين العرب، بغداد ت ١٩٨١م.
- مدخل إلى فقه اللغة العربيَّة، د. أحمد محمَّد قدُّور، دار الفكر، دمشق، ط٣، ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى نحو اللغات الساميَّة المقارن، سباتينو موسكاتي، وأنطون شبيتالر، وادورد أولندوروف، وفولفر أم فون زودن، ترجمة د. مهدي المخزوميّ، د. عبد الجبَّار المطَّلبيّ، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- المستشرقون والمناهج اللغويَّة، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار وائل، عمَّان، الأردن، ط٣، ٢٠٠٢م.
- المعجم المساريّ، معجم اللغات الأكديَّة والسومريَّة والعربيَّة، د. نائل حنُّون، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠١م.
- المعجم المفصَّل في فقه اللغة، د. مشتاق عبَّاس معن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- مقدِّمة في تاريخ الحضارات القديمة، أ. طه باقر، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ط٢، ١٩٥٥م.
- مقدِّمة لدراسة فقه اللغة، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيَّة، مصر، ٢٠٠٥م.

- ملامح في فقه اللهجات العربيَّات من الأكاديَّة والكنعانيَّة وحتَّى السبئيَّة والعدنانيَّة، د. محمَّد بهجت قبيسي، دار سموأل، دمشق، ١٩٩٩م.
- من ألواح سومر، صموئيل، نوح كريمر، ترجمة أ. طه باقر، مراجعة وتقديم د. أحمد فخري، مكتبة المثنَّى ببغداد، ومؤسَّسة الخانجي بالقاهرة (د.ت).
- مناهج البحث في اللغة د. تمَّام حسَّان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩م.
- من تراثنا اللغويّ القديم، ما يسمَّى في العربيَّة بالدجنل، معجم ودراسة، أ. طه باقر، مكتبة لبنان، ناشرون، ٢٠٠١م.
- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبرت هنري روبنز، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، مطبعة الرسالة، الكويت، ١٩٩٧م.

ثانيًا: الرسائل الجامعيَّة

- بناء الجملة بين العربيَّة والأكديَّة، سلوان شاطر حلحول، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب، جامعة القادسيَّة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- نشأة وتطور الكتابة في وادي الرافدين وبلاد الشام حتى ظهور الاسلام، وصفي عبد ربَّه سليمان الشريفات، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب/ جامعة الموصل، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩.

ثالثًا: الأبحاث المنشورة

- أصل الحروف الهجائيَّة وانتشارها، أ. طه باقر، مجلَّة سومر، المجلد١، ج٢، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٤٥م.

- أقوام الشرق الأدنى القديم وهجراتهم، د. فرج بصمجي، مجلَّة سومر، المجلَّد٣، ج١، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٧م.
- الإنسان صانع الكلمة، أ. طه باقر، مجلَّة العاملين في النفط، العدد٤١، بغداد، ١٩٦٥م.
- بضاعتنا ردَّت إلينا، خواطر وآراء في تراثنا الحضاري للمناقشة، أ. طه باقر، مجلَّة آفاق عربية، العدد: ٨، بغداد، ١٩٧٧م.
- الخطُّ المسماريّ واللغة الأكديَّة، د. فاضل عبد الواحد عليّ، مجلَّة بين النهرَين، العدد٣٦، ١٩٨١م.
- رواسب لغويَّة قديمة في تراثنا اللغويّ، أ. طه باقر، مجلَّة التراث الشعبيّ، العدد العاشر، بغداد، ١٩٧١م.
- علاقة بلاد الرافدين بجزيرة العرب، أ. طه باقر، مجلَّة سومر، المجلد٥، ج٢، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٤٩م.
- ما يسمَّى بالدخيل أو الأعجمي في المعجمات العربيَّة، أ. طه باقر، مجلَّة كليَّة الآداب، جامعة بغداد، العدد: ٢٤، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- النحت في العربيَّة واستخدامه في المصطلحات العلمية، د. محمَّد ضاري حمَّادي، مجلَّة المجمع العلميّ العراقيّ، المجلد٣١، ج٢، مطبعة المجمع العلميّ العراقي، ١٩٨٠م.